البيان بالإبهام غير المتبوع بالتفسير

طرقه وبلاغته

إعداد الباحث

د/ لطفي خالد محمود الجوهري

المدرس بقسم البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين – بالديدامون – شرقية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد الله رب العالمين، خلق الإنسان، علمه البيان، ورزقه التوفيق والإلهام، والصلاة والسلام على أشرف من نطق فأبان، وأزال ببيانه كل إبهام، وعلى آله وأصحابه أولى النهى والأحلام.

وبعد

فإن من أسرار العربية ثراء أساليبها وتراكيبها، ولكل أسلوب وتركيب خصائصه ودلالته، ولكلٍ مقامه وسياقه الذي يقتضيه.

وإن ممَّا يعجب منه الدارس للبلاغة العربية أنها لا تقوم على أساليب البيان والتصريح فقط بالرغم من أنها أقرب الأساليب إلى الإفهام.

لكن قد يقتضي المقام عدم التصريح، أو يكون التصريح غير واف بحق المعنى الذي يجيش في نفس المتكلم، وإذا أراد الوفاء بحق ما في نفسه من معنى قد يتطلب منه ذلك أن يطيل ويطنب ويستطرد، ثم يجد بعد ذلك كله في نفسه شيئاً لم يفِ بحقه، فلا يجد أمامه سوى الإبهام حتى يستطيع أن يوصل ما في نفسه إلى مخاطبه، وكأن لسان حاله يقول : إن كل ما تجده في نفسك من معان لهذا المبهم مقصود مراد وأكثر، ولذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : (وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تبن.) [1]

(١) دلائل الإعجاز تأليف الشيخ الإمام / أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي قرأه وعلق عليه / أبو فهر محمود محمد شاكر ص / ١٤٦ مكتبة الخانجي الطابعة الثالثة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢م.

والأساليب العربية والتراكيب التي تحمل في طياتها الإبهام كثيرة ومتعددة وهذا البحث محاولة من الباحث للوقوف على هذه الصور والتعرف عليها والكشف عن بلاغتها، وهذا مما دفعني إلى دراسة البيان بالإبهام غير المتبوع بالتفسير في البلاغة العربية، ويمكن إيجاز الأسباب التي حدت بي نحو دراسة هذا الموضوع فيما يلي :

١- طرافة هذا الموضوع إذ كيف يتأتى البيان بالإبهام غير المتبوع بالتفسير **؟!**

٢- كثرة الصور التي يرد عليها الإبهام في البلاغة العربية.

٣- ما يتميز به هذا الموضوع من خفاء ودقة.

٤- التعرف على مذاق الإبهام في كل صورة من صوره التي يرد عليها وبلاغته.

هذا، وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، وعشرة مباحث، وخاتمة، وفهارس.

ففي المقدمة : بينت الأسباب التي كانت وراء دراسة هذا الموضوع، وذكرت بها الخطة التي قامت عليها تلك الدراسة.

وفي التمهيد : قمت بتعريف الإبهام، والفرق بين الإبهام البلاغي والتعمية، وحديث البلاغيين عنه.

ثم تناولت المباحث تلك الصور التي يرد عليها الإبهام في البلاغة العربية وذلك في عشرة مباحث وهي كالتالي :

المبحث الأول : البيان بالإبهام عن طريق الحذف.
المبحث الثاني : البيان بالإبهام عن طريق التنكير.

المبحث الثالث : البيان بالإبهام عن طريق الموصولية.

المبحث الرابع : البيان بالإبهام عن طريق الاستفهام.

المبحث الخامس : البيان بالإبهام عن طريق الكناية والتعريض.

المبحث السادس : البيان بالإبهام عن طريق المجاز.

المبحث السابع : البيان بالإبهام عن طريق التشبيه الوهمي.

المبحث الثامن : البيان بالإبهام عن طريق اتحاد طرفي الجملة الاسمية والجملة الشرطية .

المبحث التاسع : البيان بالإبهام عن طريق التوجيه.

المبحث العاشر : البيان بالإبهام عن طريق الكلام المنصف.

وفي الخاتمة : عرض لأهم النتائج التي كانت ثمرة هذه الدراسة.

وفي الفهارس :

(١) فهرس المصادر والمراجع.

(٢) فهرس الموضوعات.

هذا، ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

وصلى اللهم وسلمٍ وبارك على سيدنا محمد – ﷺ –

التمهيد

??لا : تعريف?لإبها? في?للغة :

من أبهم على الأمر : إذا لم يجعل له وجهاً أعرفه.

وإبهام الأمر : أن يشتبه فلا يعرف وجهه.

وحائط مبهم : لا باب فيه، وباب مبهم : مغلق لا يهتدي لفتحه إذا أغلق.

وأبهمت الأمر : أغلقته وسددته، وليل بهيم : لا ضوء فيه إلى الصباح، ويقال أمر مبهم : إذا كان ملتبساً لا يعرف معناه ولا بابه.

يقول ابن الأعرابي :

أعييتني كل العيا ء فلا أغرَّ و لا بهيم

قال : يضرب مثلاً للأمر إذا أشكل لم تتضح جبهته واستقامته ومعرفته.

والمبهمة : المسألة المعضلة الشاقة، سميت مبهمة ؛ لأنها أبهمت عن البيان فلم يجعل عليها دليل.

وطريق مبهم : إذا كان خفياً لا يستبين.

واستبهم عليه الأمر : أي استغلق. (١)

وعليه فالإبهام في الكلام هو عدم الوقوف على المراد منه وقوفاً تاماً، وإنما تجد المعنى فيه غائراً غائماً.

(١) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة : بهم دار المعارف.

ومثل هذا الكلام يحتاج إلى فكر وتأمل وطول نظر وإقداح قريحة لاستخراج كل ما تحمله الجملة المبهمة من معانٍ كثيرة مرادة.

ثانياً: الفرق بين الإبهام البلاغي والإبهام المعيب (التعمية).

شتان بين هذا الإبهام البلاغي الذي يقتضيه المقام والسياق، ويعمد إليه المتكلم وفاءً بحق المعنى وبين الإبهام الناشئ من التعقيد والغرابة فهذا مذموم عند جميع النقاد والبلاغيين لأنه يؤدي إلى استغلاق المعاني حتى لا يستطاع إدراكها [1] وكذلك الإبهام الذي نجده عند أصحاب النزعة الرمزية الذي لا يمت إلينا ولا إلى أذواقنا العربية بصلة فإن أهم ما يؤخذ على الرمزيين هو الإسراف في الإبهام حتى يصبح الأدب والشعر الذي ينشئونه معقداً أشد التعقيد، وضرباً من الإلغاز والتعمية على القارئ الذي لا يستطيع الوقوف على ما فيه من معنى أو فكر أو خيال إلا بالتوهم والمكابدة والعناء الذي يستنفذ طاقته في الظن والتخمين قبل أن يصل إلى غايته من الإفادة والتأثر والاستمتاع [2]، ولذا يقول عنهم د/ شوقي ضيف : (وهم – بلا ريب – شذوذ على عرفنا الشعري الذي لا يستسيغ الألفاظ الواضحة الشفافة، والذي ينفر نفوراً شديداً من الألفاظ الغائمة المبهمة التي تتردد في شعر الرمزيين، غير محددة الدلالة، وقد يبالغون أو قد

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ١/ ٢٣، ٢٤، ٣١ تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل بيروت الطابعة الثالثة، وينظر : قضايا النقد الأدبي د/ بدوي طبانة ص / ١٥٥، ١٥٦ معهد البحوث والدراسات العليا بجامعة الدول العربية المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧١م.

(٢) ينظر : قضايا النقد الأدبي ص /١٥٣.

يسرفون في إيراد هذه الألفاظ حتى تصبح القصيدة عندهم مجمعاً لطائفة من الألغاز، بل تصبح أحياناً رطانة أعجمية وإن كتبت بحروف عربية.) [١]

فقد أمعن الرمزيون في الإبهام والغموض حيث غلفوا الشعر بغلاف من الضباب فأسقطوا حروف التشبيه، واعتمدوا على الكلمة في إيحائهم يقدمونها ويؤخرونها عن موضعها عن قصد حتى تزيد من إشعاعاتها الموحية، وكذلك طابقوا بين الحروف والألوان وبين الألوان والمعاني، فاللون الأحمر يرمز للحياة الصاخبة والدم وشهوة الحب والأعاصير، والأخضر يمثل الكون والطبيعة والبحر، والأزرق يمثل الانطلاق إلى ما وراء المادة الكونية حيث عالم الملائكة والموسيقى التي تبلغ الأعماق، واللون البنفسجي لون الرؤى الصوفية، والأصفر للحزن والتحفز نحو عالم أفضل، والأبيض يشف عن الهدوء والسكينة والطهر، وهكذا كثرت الرموز لتحيل الشعر إلى طائفة من الألغاز التي لا يفهمها إلا كاتبها، ومن شأن هذا الأدب أن يكون مقصوراً على صاحبه أو من على شاكلته ونفس تفكيره وآرائه وفلسفته مما يجعله أدباً خاصاً لطائفة معينة.[٢]

أمَّا الإبهام البلاغي فهو الكلام الذي لا يعطيك مقادته إلا بعد إدمان نظر ومثل هذا الإبهام يعطى المساحة للمتكلم لكي يعبر عمَّا بداخله وليخرج كل مكنون صدره بطرائق من التعبير مختلفة يكون التصريح فيها غير وافٍ بحق المعنى، والخفاء والستر قد يكون حسنةً من حسنات الكلام، وقد يكون في بعض الأحيان ضرورة من الضرورات توجبه عفة القلب، وعفة اللسان والقلم، ويوجبها دفع المضرة أو الأذى عن القارئ أو السامع أو غيرهما، والأديب المجيد هو الذي لا تتجلي لك معانيه إلا بعد أن يحوجك إلى طلبها بالفكرة، وتحريك

(١) فصول في الشعر ونقده د / شوقي ضيف ص/٣٢٣ دار المعارف الطبعة الثالثة.
(٢) ينظر إعراب القرآن وبيانه لمحي الدين أحمد مصطفى درويش ٧ / ٣٤٣ دار ابن كثير- بيروت الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ

الخاطر لها، والهمة في طلبها، وما كان منها ألطف كان امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر واحتجابه أشد [1].

ثالثاً :?لإبها??لبلاغي في ك تب?لبلاغيين :

أولاً : أبو هلال العسكري ٣٩٥هـ :-

تحدث أبو هلال العسكري عن الإبهام البلاغي في الفصل السابع من الباب التاسع تحت اسم الإشارة، وعرفها بقوله : أن يكون اللفظ القليل مشاراً به إلى معانٍ كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها.

وأخذ يذكر أمثله له كثيرة منها : قول الله تعالى :﴿ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴾ [2] وقول الناس : لو رأيت علياً بين الصفين، فيه حذف إشارة إلى معان كثيرة وكتب آخر لآخر : أتعيرني وأنا أنا، فقوله : وأنا أنا إشارة إلى معانٍ كثيرة وتهديد شديد وإيعاد كثير.

وقول امرئ القيس :

فإن تهلك شنوءة أو تبدَّل فسيرى إن في غسان حالا

بعزهم عززت و إن يذلوا فذلهم أنالك ما أنا لا

فقوله : (إن في غسان حالا، وأنالك ما أنالا) إشارة إلى معانٍ كثيرة.

وذكر أيضاً قول بعضهم :

(١) ينظر : قضايا النقد الأدبي ص /١٥٣.
(٢) سورة النجم (١٦).

هذا رجائي وهذىَ مصر معرضة وأنت أنت وقد ناديت من كثب.

فقوله : أنت أنت – مشار به إلى نعوت من المدح كثيرة. (١)

وكل تلك الأمثلة التي ذكرها أبو هلال العسكري تندرج تحت المباحث المتعددة في هذا البحث، وأسمى ذلك بالإشارة فجعل المذكور إشارة على ما لم يذكر، ولكن هذه الأمثلة لم تشر إلى كل صور هذا الفن، فهناك صور كثيرة تدخل تحت هذا الفن لم يمثل لها الإمام.

ثانياً : ابن رشيق القيرواني ٤٥٦هـ

تعرض ابن رشيق لهذا الموضوع عند حديثه عن باب الإشارة أيضاً فقال (والإشارة من غرائب الشعر وملحه، وبلاغته عجيبة تدل على بعد المرمى وفرط المقدرة، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذق الماهر، وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملاً، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه.) (٢)

وذكر ما يدخل تحت هذا الفن وما لا يدخل، ومما ذكره مما يندرج تحته :

(١) ينظر الصناعتين لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ص/ ٣٨٣، ٣٨٤ تحقيق د / مفيد قميحة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه تأليف / أبي على الحسن بن رشيق القيرواني ٣٠٥/١ تحقيق / محمد عبد القادر أحمد عطا دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

قوله : (ومن أنواع الإشارة التفخيم والإيماء، فأما التفخيم فكقول الله تعالى : " **ٱلْقَارِعَةُ مَا ٱلْقَارِعَةُ** "(١)، وقدَ قال كعب بن سعيد الغنوى يرثى أخاه :

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا ورع عند اللقاء هيوب

أما الإيماء : فكقول الله – ﷻ – : " فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ " (٢) فأومأ إليه، وترك التفسير معه. وقال كَثَيِّر :

تجافيت عنى حين لا لي حيلة وخلَّفت ما خلَّفت بين الجوانح

فقوله : " وخلقت ما خلقت " إيماء مليح، ومثله قول ابن ذريج :

أقول إذا نفسي من الوجد أصعدت بها زفرة تعتادني هي ما هيا

ومن أنواعها التعريض : كقول كعب بن زهير لرسول الله – ﷺ – :

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

فعرَّض بعمر بن الخطاب – وقيل : بأبي بكر الصديق – رضى الله عنهما – وقيل : برسول الله – ﷺ – تعريض مدح، ثم قال :

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرَّد السود التنابيل

فقيل : إنه عَرَّض في هذا البيت بالأنصار، فغضبت الأنصار، وقال المهاجرون : لم تمدحنا إذ ذممتهم. (٣)

---

(١) سورة القارعة آية (١).
(٢) سورة طه آية (٧٨).
(٣) العمدة ١ / ٣٠٦.

فذكر أكثر من نوع للإشارة ومثل له، وكثير مما ذكر يدخل تحت الإبهام البلاغي ومنه مالا يدخل تحته.(١)

ثالثاً : ابن سنان الخفاجي ٤٦٦هـ :

فتحدث عن الإبهام عند حديثه عن دلالة الألفاظ على المعاني فقال : (وقد قسموا دلالة الألفاظ ثلاثة أقسام : أحدها : المساواة وهو أن يكون المعنى مساوياً للفظ، والثاني : التذييل وهو أن يكون اللفظ زائداً على المعنى وفاضلاً عليه، والثالث : الإشارة وهو أن يكون المعنى زائداً على اللفظ، أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة) (٢)

وبذلك وافق ابن سنان الخفاجي في تسمية هذا الفن بالإشارة أبا هلال العسكري وابن رشيق الفيرواني.

وبين مقامها الذي يقتضيها فقال : (والإشارة تصلح لمخاطبة الخلفاء والملوك ومن يقتضي حسن الأدب عنده التخفيف في خطابه، وتجنب الإطالة فيما يتكلف سماعه.) (٣)

رابعاً : ابن الأثير ٦٣٧هـ:

ذكر ابن الأثير أن الإبهام نوعان : الأول : إبهام بعده تفسير، والثاني : إبهام من غير تفسير، وذكر قيمة الإبهام البلاغية فقال : (أعلم أن هذا النوع لا يعمد إلى استعماله إلا لضرب من المبالغة، فإذا جئ به في كلام فإنما يفعل ذلك

(١) ينظر المصدر السابق ١ / ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩ إلى ٣١٥.
(٢) سر الفصاحة تأليف / أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي تحقيق د / النبوي عبد الواحد شعلان ص / ٣٠٩ مؤسسة العلياء.
(٣) المصدر السابق ص / ٣٠٩.

لتفخيم أمر المبهم وإعظامه، لأنه هو الذي يطرق السمع أولاً فيذهب بالسامع كل مذهب.) [١]

ومثل للإبهام الذي يعقبه التفسير، ثم ذكر الإبهام من غير تفسير فقال : (وأما الإبهام من غير تفسير فكثير شائع في القرآن الكريم أيضاً، كقوله تعالى : ﴿ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ ﴾ [٢] وكذلك ورد قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [٣] أي للطريقة أو الحالة أو الملة التي هي أقومها وأسدها، وأي ذلك قدَّرت لم تجد له مع الإفصاح ذوق البلاغة الذي تجده مع الإبهام، وذلك لذهاب الوهم فيه كل مذهب وإيقاعه على محتملات كثيرة.

وهذا كقول القائل : (لو رأيت علياً بين الصفين) فإنه لو وصفه مهما وصف من نجدة وشجاعة وثباتٍ وإقدام وأطال القول في ذلك لم يكن بمثابة ما يترامى إليه الوهم مع الإبهام، وهذا للعارف برموز هذه الصناعة وأسرارها. [٤]

وعلى هذا الأسلوب ورد قوله تعالى : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ [٥] وأبلغ من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴾ [٦] فإنه قال في تلك الآية : ﴿ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴾ فذكر (اليم) وهو البحر

(١) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف / ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري تحقيق الشيخ / كامل محمد محمد عويضة ٢/١٠ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٤٩هـ / ١٩٩٨م.

(٢) سورة الشعراء آية (١٩).

(٣) سورة الإسراء آية (٩).

(٤) وقد نقل ابن الأثير هذه القيمة البلاغية للإبهام من غير تفسير من الخطابي في بيان إعجاز القرآن ينظر ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للرماني و الخطابي وعبد القاهر الجرجاني ص / ٥٢ حققها و علق عليها / محمد خلف الله أحمد ود/ محمد زغلول سلام دار المعارف الطبعة السادسة والبلاغة في المثل السائر د/ حسن إسماعيل عبد الرازق ص / ١١٨ دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ١٩٨٧م / ١٤٠٧هـ.

(٥) سورة طه آية (٧٨).

(٦) سورة النجم آية (٥٣، ٥٤).

فصار الذي غشيهم إنما هو منه خاصة، وقال في هذه الآية " فغشاها ما غشى " فأبهم الأمر الذي غشاها به، وجعله عاماً، وذلك أبلغ لأن السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب.[١]

ومثل بأمثلة أخرى كثيرة تندرج تحت الإبهام بطريق الموصولية، ثم ذكر مثالاً للإبهام عن طريق التنكير فقال : (وعلى هذا ورد قولي في فصل تقليد لبعض الوزراء، فقلت : وأنت مؤهل لواحدة فتخلق لها غرر الجياد، وتناديها العلياء بلسان الإحماد) [٢] ثم قال : (وأما قولي : (وأنت مؤهل لواحدة) فإنه من الإبهام من غير تفسير) [٣].

وعليه يكون ابن الأثير أشار إلى أمور مهمة في هذا الفن وهي :

١- أبان أن هذا الفن يسمى بـ الإبهام من غير تفسير.

٢- صرَّح بكثرته وشيوعه في القرآن الكريم.

٣- أشار إلى صور منه وهي الإبهام بطريق الموصوليه والإبهام بطريق الحذف والإبهام بطريق التنكير.

خامساً : العلوى ٧٤٥هـ :

درس العلوي في الفصل الرابع من الباب الثاني هذا الموضوع وعنون للفصل بعنوان(في الإبهام والتفسير)، وأشار إلى مزية الإبهام فقال : (اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهماً فإنه يفيد بلاغة، ويكسبه إعجاباً وفخامة وذلك

(١) المثل السائر ٢ / ١٢.
(٢) المثل السائر ٢ / ١٣.
(٣) المصدر السابق ١٤/٢.

لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام فإن السمع يذهب في إبهامه كل مذهب) (١)

ثم قسم هذا الفصل إلى ضربين :

الضرب الأول : ما يرد مبهماً من غير تفسير.

الضرب الثاني : الإبهام الذي ظهر تفسيره.

ومثل لما يرد مبهماً من غير تفسير بأمثلة كثيرة سبقه إليها الإمام أبو هلال العسكري والإمام ابن الأثير، ولكنه ذكر أمثلة انفرد بها ومنها : (وقوله عليه الصلاة والسلام : " أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما " فهذا من رشيق الإبهام وبديعه ومن عجيب أمره ودقيق سرِّه، أنه أمره بالاعتدال في حالتي الحب والبغض، ومجانبة الإفراط والتفريط، فقال : أحبب حبيبك على الهون من غير إفراط في حبه، فلعلك أن ترجع عن ذلك في بعض الأيام وإن قلَّ، فأتى بالهون منكراً مبهماً وباليوم منكراً ليدل بهما على شدة المبالغة في المفقود، وإنما قَيَّد الأول بالهون، والثاني باليوم على جهة الإبهام، ولم يعكس الأمر فيها ؛ لأن الأول موجه على جهة الأمر حباً كان أو بغضاً من غير تهالك فيهما مخافة أن يبدو له خلاف ذلك فيصعب تداركه ويعظم تلافيه، فلا جرم قيَّد الأمر بالهون لما كان ملابساً له، وقيَّد الرجوع باليوم لما كان عائدا إليه، ولو عكس لم يعط هذا المعنى. (٢)

---

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز تأليف السيد الإمام / أمير المؤمنين يحى بن حمزة بن على بن إبراهيم العلوي اليمني ٢/ ٨٢ دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) الطراز ٢ / ٨٢.

ومثل بمثال للإبهام بطريق الحذف والتنكير فقال : (ومن جيِّد الإبهام قولهم : لو رأيت أمير المؤمنين وقد اعتقل القناة يُجَدِّل الأبطال، ويجول في معترك القتال أيَّ مجال، فهذا عموم وإبهام معطٍ للبلاغة) [١]

ومن الإبهام بطريق الحذف أيضاً قوله : (ومنه قولهم : بعد اللتيا والتي، فإن هذا واقع في الإبهام أعظم موقع، وما حذفوا الصلة إلا من أجل إرادة الإبهام، لأن الصلة موضحة للموصول في علم الإعراب.) [٢]

ومثل بأمثلة كثيرة للإبهام بطريق الموصولية ذكرها من سبقه، ومنه قوله : (ومنه قول بعض المتأخرين : فؤاد فيه ما فيه) فهذا في غاية المبالغة لإبهامه.) [٣]

وقد أفاد العلوي من ابن الأثير كثيراً في هذا الباب، ونصَّ على إفادته منه فقال : (وكقول ابن الأثير في بعض التقاليد : وأنت مؤهل لواحدة تجلوبها غرر الجياد. [٤] فمثّل واستشهد بما مثل به ابن الأثير من كلامه في هذا الباب.

ثم جاء السكاكي والخطيب وشراح التخليص فذكروا تلك الأمثلة التي ذكرها هؤلاء العلماء، ولكنهم وضعوا كلاً في بابه، فذكروا بعضها في باب تعريف المسند إليه بالموصولية ودرسوا بعضها في الاستفهام، وبعضها في تنكير المسند إليه، وبعضها في الكناية إلى غير ذلك.

ومن طرائق الإبهام أيضاً التوجيه والكلام المنصف ونجدهما عند الخطيب وابن أبي الإصبع، وأصحاب البديعيات، وبعض كتب التفسير.

وتلك كانت إطلالة سريعة على هذا الفن عند البلاغيين للتعرف على جذوره والاقتراب منه للكشف عن تطوره ورسم صورة كاملة له.

---

(١) المصدر السابق ٢ / ٨٤.

(٢) المصدر السابق ٢ / ٨٥.

(٣) المصدر السابق ٢ / ٨٥.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٨٥.

المبحث الأول

البيان بالإبهام عن طريق الحذف

يعمد المتكلم أحياناً إلى الحذف ليحدث نوعاً من الإبهام المراد لدى المتلقي ويكون الإبهام حينئذ عين البيان، وذلك لأن المقام يقتضيه،ولأن الذكر لا يستطيع أن يفى بحق المعنى المراد.

ولذا يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني عن الحذف : (هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأنمَّ ما تكون بياناً إذا لم تبن.) [1]

فالتأمل لكلام الإمام عبد القاهر يجده يشير إلى أمر عجيب وهو : كيف صار عدم النطق نطقاً ؟ !، وكيف صار عدم الإبانة إبانة تامة ؟!، لابد أن الحذف حينئذ يحمل من المعاني مالا يحمله الذكر فصار به أنطق وأبين.

وليس كل حذف يتولد منه إبهام، لأنه قد يحذف المسند، أو المسند إليه أو غيرهما وليس في الكلام إبهام ؛ لأن ما حذف معلوم من الكلام لوجود قرينة دالة عليه.

ومن الحذف الذي يحدث إبهاماً واقتضاه المقام حذف المسند إليه عندما يكون المتكلم جاهلاً به، كقول القائل : كُسِرَ باب داري، وسُرِق مالي بالبناء للمجهول ولا شك أن حذف المسند إليه هنا قد أحدث إبهاماً لدى المتلقى، ولكن هذا الإبهام اقتضاه مقام الجهل بالفاعل.

---

(١) دلائل الإعجاز ص/ ١٤٦.

أو يكون الذي اقتضاه الخوف من الفاعل : كقولنا : قُتِلَ المجرم إذا كنا نعرف القاتل لكنَّا نخاف على أنفسنا منه أو من أحد أعوانه، ومن ثمَّ أخرج مخرج المبهم.

أو يكون اقتضاه مقام الخوف على الفاعل كقول النابغة الذبياني :

نبئت أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأر من الأسد (١)

ففي قوله (نبئت) إبهام بحذف المسند إليه، حيث لا توجد قرينة دالة على المنبئ وإنما حذف لإبهام أمره حتى لا يشي عليه أحد فيؤاخذ بتحذيره النابغة.(٢)

وقد يأتي الإبهام بالحذف لأن الذكر والإفصاح لا يفي بحق المعنى، فمن أجل جلال هذا المعنى المراد، وحتى يقع من النفس موقعاً حذف، ومن ذلك : قولنا : لو رأيت فلاناً والسياط تأخذ منه.

قالوا : وهذا الحذف أفخم وأعظم لأن على هذا التقدير يذهب خاطر المخاطب إلى كل ضرب من الوعيد فيكون الخوف على هذا التقدير مما إذا كان عين له ذلك الوعيد. (٣)

(١) ديوان النابغة الذبياني ص/ ٥١ شرح وتقديم / عباس عبد الستار دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

(٢) ينظر البلاغة الاصطلاحية د/ عبده عبد العزيز قلقيله ص/ ١٩٧، ١٩٨ دار الفكر العربي / القاهرة الطبعة الثانية ١٤١١هـ ١٩٩١م

(٣) ينظر الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام / جار الله محمود بن عمر الزمخشري ٢١٢/١ مكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلمية الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

وهذا التركيب شائع في حياتنا اليومية إذ تقول :

لو رأيت ما رأيت اليوم، أو لو رأيت العروس في عرسها بالأمس، أو لو رأيت محمداً وهو يخطب، أو لو رأيت علياً في مجلس الرجال.

فكل هذه العبارات حذف جواب الشرط فيها ليحدث نوعاً من الإبهام الذي يتضمن إعجاباً وإعظاماً لما رأيته اليوم، وللعروس في عرسها، ولمحمد وهو يخطب، ولعلي بين الرجال، ليدع الخيال يذهب في الجواب كل مذهب. (١)

ومنه أيضاً قول عمرو بن معد يكرب (٢):

ولما رأيت الخيل زوراً كأنها جداول زرع أُرسِلَتْ فاسبطرت

يقول المزروقي معلقاً على هذا البيت : (حذف الجواب في مثل هاته المواضع أبلغ وأدل على المراد بدليل أن السيِّد إذا قال لعبده : لئن قمت إليك ثمَّ سكت تزاحم على العبد من الظنون المعترضة للتوعد مالا يتزاحم لو نصَّ على ضرب من العذاب.)(٣)

ومن الإبهام البلاغي بطريق الحذف في القرآن الكريم قول الله – ﷻ – : ﴿وإِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ

(١) ينظر الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز " دراسة بلاغية " د/ مختار عطية ص / ٣٦٥ دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧م.

(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ص / ١٩ تحقيق / محمد فوزي حمزة مكتبة الآداب.

(٣) شرح ديوان الحماسة لأبي تمام تأليف / أبي على بن محمد بن الحسن المرزوقي ١ / ١١٨ علق عليه / فريد الشيخ وضع فهارسه / إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ.

*وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَاأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾.(١)

من المعلوم أن الشرط يرتبط بجوابه، ويفتقر إليه، فالجواب متعلق بالشرط تعلق الخبر بالمبتدأ، والمتحدث بالجملة الشرطية عندما ينطق بالشرط يترقب المخاطب الجواب وينتظره ؛ لأنه هو المتمم لمعنى الجملة، ويظُّل مترقباً حتى يقف عليه، فإذا حذف وقع في حيرة وإبهام.(٢)

وقد حذف جواب الشرط من الآية السابقة فأحدث إبهاماً غرضه التنبيه على أن الجواب شيء لا يحيط به الوصف، وليذهب المقُدِّر له كل مذهب.(٣)

وذهب بعض المفسرين إلى أن الجواب غير محذوف، وذهبوا في تأويله إلى تقديرات متعددة غير مقنعة.(٤)

وما ذهب المفسرون إلى كل هذه التأويلات والتقديرات إلا ليقفوا على جواب الشرط، ولو قدَّروا حذفه، وحاولوا الوقوف على السر البلاغي الذي اقتضاه ما ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه.

---

(١) سورة الانشقاق من آية (١) إلى آية (٦).

(٢) ينظر التشويق في الحديث النبوي طرقة وأغراضه د/ بسيوني عبد الفتاح فيود ص / ٨٨ مطبعة الحسين الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

(٣) ينظر إعراب القرآن وبيانه ٤٢٢/١٠.

(٤) فقيل : الجواب (فملاقيه)، والتقدير : فأنت ملاقيه، قاله الأخفش، و قال المبرد : إن في الكلام تقديماً وتأخيراً أي : يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه إذا السماء انشقت، وقيل : يا أيها الإنسان على إضمار الفاء، وقيل : ليست إذا شرطية وهي منصوبه بفعل محذوف تقديره (اذكر) ينظر فتح القدير لمحمد بن على بن محمد الشوكاني اليمني ٥ /٤٩٢ دار ابن كثير – دمشق الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

خاصَّةً وأن حذف جواب الشرط كثير وشائع في العربية، ومن ذلك أيضاً في القرآن الكريم قول الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾.(١)

الآية تتحدث عن صفة ثواب أهل الجنة، والمتأمل يجد أن جواب الشرط محذوف والتقدير : حتى إذا جاءوها وجدوا من الكرامات مالا يحيط به الوصف فدل بحذفه على أنه شيء لا يحيط به العقل، فهو فوق إدراكه، وفوق تصوره فكان الإبهام بالحذف أوفي بحق المعنى، حيث إن للمؤمنين والمتقين من فنون الكرامات مالا يحيط به نطاق العبارات.(٢)

ومن ثمَّ فقد كان الإبهام دليلاً على ضيق الكلام عن وصف ما يجدونه، كما أعطى للنفس مجالاً لتقدر ما شاءته من صنوف الكرامات وأنواع النعيم ثم بعد ذلك كله لا تبلغ كنه ما هنالك.(٣)

والرأي بحذف جواب الشرط هو الرأي الراجح، وبه قال الزمخشري وغيره من المفسرين (٤) ويتعاضد مع حذف جواب الشرط بناء الفعل (سيق) للمجهول الذي قصد به التشويق ليحدث نوعاً من التطلع لدى السامع، ويجعله مترقباً لسماع عقبى هذا السوق الذي جهلت كيفيته

(١) سورة الزمر آية (٧٣)
(٢) ينظر الكشاف ٤ / ١٤٧.
(٣) ينظر الحذف البلاغي في القرآن الكريم مصطفى عبد السلام أبو شادي ص / ١٤٩ مكتبة القرآن بالقاهرة.
(٤) قيل في جواب (إذا) ثلاثة أوجه :
الأول : أن جواب (إذا) قوله تعالى : (وفتحت) والواو زائدة.
الثاني : أن جواب (إذا) قوله تعالى : (وقال لهم خزنتها) على زيادة الواو أيضاً.
الثالث : أن الجواب محذوف.
ينظر الكشاف ٤ / ١٤٧، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي ٥٤٣/٤ تحقيق / عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

والقائم به، ولا شك أن سوق أهل النار تختلف عن سوق أهل الجنة، فهذا سوق إلى النعيم فيه تشريف وتعظيم لأنهم يذهبون إلى الجنة على الركائب، وذاك سوق الجحيم فيه إهانة وتقريع لأنهم يساقون كالأنعام، ولكن جاء كلاهما مبهماً لتذهب فيه كل مذهب، فيزداد شوقها إلى النعيم، ويعظم خوفها من الجحيم.

ومن التراكيب ذات الثراء، والتي يكثر معها حذف جواب الشرط ليحدث نوعاً من الإبهام البلاغي المقصود تركيب (ولو ترى)، ولذا يقول الطاهر بن عاشور : (وتركيب (ولو ترى) وما أشبهه نحو: (لو رأيت) من التراكيب التي جرت مجرى المثل فبنيت على الاختصار، وقد تكرر وقوعها في القرآن الكريم.) [1]

ومن ذلك قول الله تعالى :

﴿ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴾[2]

فمن يتأمل تلك الآية الكريمة يجد أن جواب الشرط محذوف، وحذفه عين البيان، لأن المراد بيان فداحة وهول العذاب الواقع على الظالمين، ولو ذكر الجواب لم يكن فيه من الوعيد والتهديد ما فيه ؛ لأن في الحذف تعريضاً بأنه شيء لا يحيط به الوصف وليذهب السامع فيه كل مذهب. [3]

---

(١) التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ الإمام الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور ١ / ٩٤ دار سحنون – تونس.

(٢) سورة البقرة آية (١٦٥)

(٣) ينظر زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع للحملاوي ص/ ٧٨
مطبعة هندية بالموسكي الطبعة الثانية ١٩١٥
وحسن الصنيع في المعاني والبيان والبديع لمحمد البسيوني
ص/ ٩٧ مطبعة ديوان عموم المعارف ١٨٨٠م

وقد ذكر الإمام عز الدين بن عبد السلام أن حذف جواب (لو) على ضربين :

أحدهما : أن يحذف لدلالة سياق متقدم أو متأخر، فلا تمس الحاجة إليه لأن الغرض حاصل بما دل عليه، ومنه قول الله تعالى :

﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١)
جوابه : لا تبعتموهم.

الضرب الثاني : أن يحدث تفخيماً له وتهويلاً ؛ ليذهب السامع فيه إلى كل ممكن من ترغيب أو ترهيب، فإنه لو عُيِّن اقتصر السامع عليه، وربما خَفَّ أمره عنده، وإذا حذف فما من شيءٍ يسمعه السامع إلا يجوز أن يكون الأمر أعظم منه، وقد غلب على هذا النوع وقوعه على سياق التهديد. (٢)

وحذف جواب (لو) في هذه الآية يدخل تحت الضرب الثاني الذي نصَّ عليه الإمام، ولذا قيل في تفسيرها : (وقد حذف جواب (لو) مبالغة ؛ لأنك تدع السامع يسمو به تخيله، ولو شرحت له لو طنت نفسه إلى ما شرحت.) (٣)

فإذا ما وقفنا مع التركيب الشرطي في الآية في محاولة لكشف بعض ما ينطوى عليه من التهديد والوعيد لوجدنا :

---

(١) سورة البقرة آية (١٧٠).
(٢) ينظر الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام / أبي محمد عز الدين بن عبد السلام السلمي الشافعي ص / ٢٩ تحقيق / محمد بن الحسن بن إسماعيل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.
(٣) المحرر الوجيز لابن عطية ٢٣٥/١.

(١)حذف مفعول (يرى) البصرية والتقدير : ولو يرى الظالمون حالهم أو عجزهم [١] وحذف المفعول هنا يضفي مزيداً من الإبهام المشعر بالتهديد، والذي يجعل السامع في حيرة من أمره.

(٢)التعبير بـ (إذ) الظرفية، وهي للظرف الماضي في قوله تعالى : (إذ يرون العذاب) في أثناء هذه المستقبلات تقريباً للأمر. [٢]

(٣)التعبير بالاسم الموصول (الذين ظلموا) للإيحاء إلى علة رؤيتهم العذاب، وللإشارة إلى أن هؤلاء المتصفين بالظلم قد اشتهروا بهذا الوصف، وعلم لهم. [٣]

(٤)الاستعارة في لفظ (جميعاً) للكثرة والشدة، وكثيراً ما تستعمل ألفاظ الكثرة في معنى القوة، وألفاظ القلة في معنى الضعف والوهن، ومنه قول تأبط شراً [٤] :

قليل التشكي للملم يصيبه كثير الهوى شتى النوى والمسالك

فكثير الهوى أي : شديده.

---

(١) ينظر تفسير البحر المحيط لأبي حيان بن محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ٢/ ٨٩ تحقيق / صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ .

(٢) ينظر المصدر السابق ٢ / ٨٩.

(٣) ينظر روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني المؤلف / شهاب الدين محمود عبد الله الحسيني الألوسى ١/ ٤٣٣ المحقق / على عبد الباري عطية الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٤) ديوان تأبط شراً وأخباره جمع وتحقيق وشرح / على ذو الفقار شاكر ص / ١٥١ دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

(٥)التذييل بقوله تعالى : " وأن الله شديد العذاب " للمبالغة في تهويل الخطب وتفظيع الأمر ،فإن اختصاص القوة به تعالى لا يوجب شدة العذاب لجواز تركه عفواً مع القدرة عليه. (١)

كل ذلك اجتمع فزاد من حدة الترهيب والوعيد، وتعاضد معه حذف جواب الشرط للإشعار بخروج العذاب عن دائرة البيان فحمل في طياته من التهويل والتحذير مالا يتأتى بالذكر والبيان.

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٢)

والبدء بـ (ولو ترى) يجعل المخاطب متشوقاً إلى معرفة ما يذكر بعدها من أمر غريب لأن (لو) وما فيها من دلالة على الامتناع تجعل النفس شغوفة بمعرفة ذاك الأمر الذي يستحيل عليها إدراكه الآن خاصة وأن الخطاب في (ترى) عاماً لكل من يتأتي منه الخطاب.

كما أن في البدء بهذا الشرط استحضاراً للصورة، واقتراباً شديداً من الموقف وكأنه ماثل حاصل، ورؤية الظالمين في غمرات الموت والملائكة باسطوا الأيدي فالصورة بكامل أجزائها أمام الأعين.

وبعد هذه الصورة كانت النفس أشغف ما تكون لسماع جواب الشرط، ولكن حذف فأحدث نوعاً من الإبهام الذي جعل المخاطب في حيرة ودهشة واضطراب وخوف وهو مقصود مراد، ولذا قيل : (وجواب (لو) محذوف تقديره : لرأيت عجباً وهولاً ونحو هذا، وحذف هذا الجواب أبلغ

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢ / ٩٥.
(٢) سورة الأنعام آية (٩٣).

من نصِّه، لأن السامع إذا لم ينص له الجواب يترك في غاية تخيله.) [١]

نلمح كذلك (إذ) الظرفية التي سلطت الضوء على جزء معين من أجزاء هذا الموقف الرهيب وهو وقت بسط الملائكة أيديهم، وقولهم للظالمين : أخرجوا أنفسكم، فإذا كانت القلوب تكاد تتخلع، والفرائس ترتعد من هذا الموقف الذي هو أول مواقف العقاب فما بالهم بما سيلقون بعده، وقد ألمح الإمام الألوسي إلى بلاغة تقييد الرؤية بهذا الوقت فقال : (وتقييد الرؤية بهذا الوقت ليفيد أنه ليس مجرد رؤيتهم، بل رؤيتهم على حال فظيعة عند كل ناظر) [٢]

تعاضد مع ذلك الاستعارة التصريحية الأصلية في كلمة (الغمرات) والمراد بها شدائد الموت وسكراته لبيان كيف تحيط بالظالم وتأتي على كل جزءٍ فيه [٣] وإضافة العذاب إلى الهون في (عذاب الهون) للإشارة إلى مدى تأصل هذا العذاب وعراقته في الشدة والهوان. [٤]

(١) المحرر الوجيز ٢ /٣٢٣.
(٢) تفسير الألوسي ٤ / ٢١١.
(٣) الاستعارة التصريحية : حيث شبهت شدائد الموت وسكراته بالغمرات بجامع الشدة والإحاطة في كل، ثم حذف المشبه واستعير المشبه به له.
ومنه قول ابي الطيب المتبني : وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح لها فيها عليها شواهد ديوان المتبني ص / ٣١٩ المكتبة الثقافية – بيروت.
(٤) ينظر إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم : تفسير أبي السعود العمادي لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى ٣ / ١٦٣ ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.

والأمر الذي أفاد التوبيخ في (أخرجو أنفسكم) وأفاد أيضاً التعجيز أي : خلصوا أنفسكم من العذاب.[1] كل ذلك تآزر مع الإبهام لبيان هذا الموقف الرهيب.

وقد تكرر تركيب (ولو ترى) مع الإبهام بحذف جواب الشرط في القرآن الكريم كثيراً فعمل على التفخيم والتهويل ومن ذلك أيضاً.

قول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ [2]

وقول الله تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾ [3]

وقد عمل الإبهام بحذف جواب الشرط في مثل تلك الآيات على الإشارة إلى أن الجواب أمر عظيم يترك إلى الخيال إدراكه أمَّا اللفظ فلا يستطيع الإحاطة به. [4]

ومن الإبهام البلاغي ما جاء بطريق حذف التمييز ومن ذلك :

قول الله تعالى : ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾ [5]

---

(١) ينظر تفسير الألوسي ٤ / ٢١٢.
(٢) سورة الأنعام آية (٣٠).
(٣) سورة السجدة آية (١٢).
(٤) ينظر من بلاغة القرآن د / أحمد أحمد بدوي ص / ١٠٠
نهضة مصر مارس ٢٠٠٥م.
(٥) سورة الحاقة الآيتان (١٦، ١٧).

فهاتان الآيتان تتحدثان عن انشقاق السماء، والملائكة على أرجائها ينفذون أمر الله – جل وعلا –، والعرش محمول بثمانية، وأبهم الله – عز وجل – هذا العدد فلم يذكر له تمييزاً.

من المعلوم أن العدد لفظ مبهم لا يوضح بنفسه المراد منه، ولا يعين نوع مدلوله ومعدوده، فمن يسمع كلمة (ثلاثة) أو أربعة، أو خمسة... أو غيرها) من ألفاظ العدد لا يمكن أن يدرك النوع المقصود من هذا العدد، ولا أن يميزه من بين الأنواع الكثيرة المحتملة، فإذا ذكر المميز زال الإبهام، وانكشف الغموض عن مدلول العدد بعد أن كان مبهماً مجهولاً، وهذا ما يسميه النحاة بتمييز العدد. (١)

وحاول العلماء والمفسرون أن يبينوا عن التمييز ويقدروه، فقيل : ثمانية أملاك، وعن الحسن : الله أعلم كم هم، أثمانية أم ثمانية آلاف ؟، وعن الضحاك : ثمانية صفوف لا يعلم عددها إلا الله، ويجوز أن تكون الثمانية من الروح، أو من خلق آخر، فهو القادر على كل خلق، سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون. (٢)

وهكذا كثرت آراء العلماء والمفسرين حول التمييز، وحاولوا تقديره فأتعبوا أنفسهم في أمر أبهمه المولى – جل وعلا – والإبهام هنا عين البيان للإشارة إلى أن التمييز بلغ درجة لا يحيط بها الوصف، وذلك أبلغ وأدل على الترهيب والتحذير من الذكر والبيان في هذا المقام.

(١) ينظر النحو الوافي تأليف / عباس حسن ٤ / ٥٢٥ دار المعارف الطبعة الحادية عشرة.
(٢) ينظر الكشاف ٤ / ٦٠٢.

ومنه أيضاً قول الله تعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾ (١)

في هذه الآيات بيان لما أُعدَّ للمشركين الجاحدين المعاندين من عذاب جزاءً وفاقاً عن عنادهم وعتوهم وتكبرهم، أنهم سيصلون سقر، وسقر علم من جهنم من أهوالها أنها تهلك كل من يصلاها، ولا تترك منه شيئاً إلا أتت عليه.

ومن أهوالها أيضاً أن عليها تسعة عشر، ولم يذكر لهذا العدد تمييزاً يزيل إبهامه، فاختلف العلماء في بيان التمييز فقالوا : يتسلط على أهلها تسعة عشر ملكاً، وقيل : صنفاً من الملائكة، وقيل : تسعة عشر صفاً، وقيل تسعة عشر نقيباً. (٢)

وكل تلك محاولات من العلماء لكشف الإبهام عن العدد (تسعة عشر) والمتأمل يجد أن الإبهام هنا مراد حيث إن ذلك أدعى لعذاب نفسى أشد على النفس من توطينها على ضرب واحد منه ؛ لأن من شأن هذا الإبهام أن يجعل المخاطب في حيرة من أمره يريد أن يقف على ما يزيل به حيرته، ولكن لا يقف منه على شيء فيكون أرهب لنفسه وأخوف لقلبه.

ومنه أيضاً : ما روى عن أبي جهم قال : قال رسول الله – ﷺ – : " **لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه، لكان أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يدي المصلي.**" (٣)

---

(١) سورة المدثر الآيات (٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠).

(٢) ينظر الكشاف ٤ / ٦٥٠ والتحرير والتنوير ٢٩ / ٣١٢.

(٣) صحيح البخاري بحاشية السندى لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
باب : إثم المار بين يدي المصلي – رقم (٥١٠) ١ / ٩٩.
دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي.

في هذا الحديث يحذر النبي – ﷺ – من المرور بين يدي المصلي، وبيَّن أن المار يحمل إثماً كبيراً، والمتأمل للحديث يجد أنه قد افتتح بالشرط (لو) فقال – ﷺ – (لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه) ومن شأن هذا الشرط أن يجعل السامع متشوقاً قلقاً شغوفاً لسماع الجواب.

كما لنا أن نلاحظ التعبير بحرف الجر (على) الدَّال على ثقل الذنب وجسامته.

ثم ذكر النبي – ﷺ – الجواب فقال :

(لكان عليه أن يقف أربعين خيراً له من أن يمر بين يديه)

فذكر أن الوقوف (أربعين) خير للمار من المرور، لكن لم يبين – ﷺ– المراد بهذا العدد، ولم يذكر له تمييزاً يزيل إبهامه، فهل المراد أربعين يوماً ؟، أم أربعين شهراً ؟، أم أربعين سنة ؟، أم ماذا ؟

وأجاب الكرماني عن هذا السؤال وأبان عن السر البلاغي المفاد من الإبهام فقال : (وأبهم أمره ليدل على الفخامة، وأنه ممالا يقادر قدره، ولا يدخل تحت العبارة.) [1]

ومن ثمَّ فقد تعاضد كل من الشرط المفيد للتشويق والإبهام البلاغي بحذف التمييز والتعبير بحرف الاستعلاء (على) في الدلالة والبيان عن عظم وجسامة ذنب المار بين يدي المصلي.

وبعد هذا العرض يتبين لنا كيف كان للإبهام البلاغي بطريق الحذف أثر بالغ في الوفاء بحق المعنى ما كان له أن يتأتى بطريق الذكر بل كان الإبهام فيه عين البيان.

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام العلامة / بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ٣/٥٩٤ دار الفكر – بيروت
الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥م.

المبحث الثاني

البيان بالإبهام عن طريق التنكير

إن في التنكير نوع إبهام يكسب المدح والذم قوة وفخامة لأن الإبهام من عناصر الإثارة في الكلام، وقد كثر حديث الزمخشري عن الإبهام وأثره في النفس[١]، يقول في تفسير قول الله تعالى: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[٢]

ونكر (هدى) ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره، قيل : على أي هدى، كما تقول : لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلاً.

قال الهذلي :

فلا وأبي الطير المرُ بَّهَ بالضحى على خالد لقد وقعت على لحم. [٣]

فجاءت كلمة (لحم) نكرة للتعظيم أي على لحم عظيم أي لحم، ولذا استعظم الطير الواقعة عليه، وأقسم بها، وكنى عنها بأبي الطير كما يكني عن العظيم بأبي فلان. [٤]

ووصف الهدى بأنه من الله تعالى في قوله – جل وعلا – (من ربهم) مع أن الهدى لا يكون إلا منه سبحانه تأكيداً للتعظيم والتفخيم بإسناده إليه جل شأنه،

---

(١) ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د / محمد محمد أبو موسى ص / ٣١٤ مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

(٢) سورة البقرة آية (٥).

(٣) الكشاف ١ / ٤٥.

(٤) ينظر الانتصاف للإمام / أحمد بن المنير السكندري ١ / ٤٥ دا ر الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

ولبيان فخامته الإضافية إثر بيان فخامته الذاتية، وللتنويه بأنهم بمحل العناية منه سبحانه ولذا أضافهم إلى نفسه إضافة تعظيم لشأن المضاف إليه. (١)

كما كشفت كلمة الاستعلاء (على) في قوله تعالى : (على هدى من ربهم) عن مدى تمسكهم بهذا الهدى، وتمكنهم منه، وحرصهم عليه ؛ لأن الاستعلاء أقوى أنواع تمكن شيء من شيء على سبيل الاستعارة التصريحيه التبعية.(٢)

ومن ثمَّ فقد كان للإبهام بطريق التنكير، والتعبير بحرف الاستعلاء، ووصف الهدى بأنه من الله سبحانه أثر بارز في بيان حال المتقين، وما هم عليه من فلاح وهداية وتقوى.

ومن البيان بالإبهام بطريق التنكير أيضاً قول الله تعالى: ﴿ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ (٣)

حسد أبناء يعقوب أخاهم يوسف أشد الحسد على محبة أبيهم له، فأرادوا أن يفرقوا بين أبيه وبينه، وأخذوا يدبرون لذلك، فقال بعضهم : اقتلوه، وقال بعضهم : عذبوه، والناظر في الآية يجد أن كلمة (أرضاً) جاءت

(١) ينظر تفسير أبي السعود ١ / ٣٣، وتفسير الألوسي ١٢٧/١ والتحرير والتنوير ٢٤٥/١.
(٢) حيث شبه مطلق الارتباط بين المؤمنين والهدى بمطلق الارتباط بين المستعلي والمستعلي عليه بجامع التمكن في كل، فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات، ثم استعير لفظ (على) من جزئيات المشبه به إلى جزئي من جزئيات المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية في الحرف.
أو يقال في إجرائها على رأي الخطيب : شبه الهدى بالفرس المستعلي عليه بجامع التمكن في كل، ثم استعير لفظ (على) وهو جزئي من جزئيات المشبه به واستعمل في المشبه.
(٣) سورة يوسف آية (٩).

نكرة لتشعر بأن هذه الأرض أرض مجهولة منكرة تهلك من يأتيها، ولذا يقول الزمخشري : (أرضاً) أرضاً منكورة مجهولة بعيدة عن العمران، وهو معنى تنكيرها، وإخلائها عن الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة [١].)[٢]

ورد ابن عطية على هذا الرأي بأن الظرف في الآية ليس مبهماً [٣] ورد عليه صاحب الدر المصون بأن : (الظرف المبهم عبارة عمَّا ليس له حدود تحصره ولا أقطار تحويه و (أرضاً) في الآية من هذا القبيل.) [٤]

وتآزر مع التعبير بالنكرة في الآية التعبير بالفعل (اطرحوه) [٥] الذي دل على بعد هذه الأرض، ومن ثمَّ فالمعنى تخلصوا منه بأن تلقوا به في مكان بعيد مجهول لا يسلم منه أحد في غالب الظن.

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولاً ﴾ [١]

---

(١) الظرف المبهم هو : ما ليس له هيئة ولا شكل محسوس ولا حدود تحصره بين نهايات مضبوطة، ومنه الجهات الست وهي (أمام – خلف – يمين – شمال – فوق – تحت) ينظر النحو الوافي ٢ / ٢٥٣

(٢) الكشاف ٢ / ٤٤٢.

(٣) ينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٢٢٢/٣.

(٤) الدر المصون ٦ / ٤٤٤.

(٥) اطرحوه : طرح بالشيء وطرحه يطرحه طرحاً : رمى به، والطروح من البلاد: البعيد، وبلد طروح : بعيد، ونخلة طروح : بعيدة الأعلى من الأسفل، ورمح مطرح : بعيد طويل. ينظر لسان العرب مادة : طرح

فقوله تعالى : (من قبل أن نطمس وجوهاً) متعلق بالأمر (آمنوا) مفيد الحث على المسارعة إلى الامتثال به والجد في الانتهاء عن مخالفته بما فيه من الوعيد الشديد الوارد على أبلغ وجه وآكده حيث لم يعلق وقوع المتوعد به بالمخالفة، ولم يصرح بوقوعه عندها تنبيهاً على أن ذلك أمر محقق غني عن الإخبار به، وأنه على شرف الوقوع متوجه نحو المخاطبين، وفي تنكير الوجوه المفيد للتكثير تهويل للخطب وفي إبهامها لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء. (٢)

وكان في إبهام النكرة (وجوه) لطف بالمخاطبين وحسن استدعاء لهم لما فيه من تجنب إضافة الوجوه لهم فيقال : وجوههم، فكان للنكرة موقع حسن ولإبهامها دور بارز في دعوة أهل الكتاب.

ومنه أيضاً قول الله تعالى : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ (٣)

أرسل محمد – ﷺ – مفطوراً على الرحمة، فكان رحمة من الله بالأمة في تنفيذ شريعته دون تساهل ولكن برفق وإعانة على تحصيلها.(٤)

والآية تخبر عن تلك الرحمة، وجاءت كلمة (رحمة) نكرة للتفخيم إذا في إبهامها بيان بأن تلك الرحمة المتصف بها النبي – ﷺ– رحمة عظيمة لا يحيط بها الوصف.

---

(١) سورة النساء آية (٤٧).
(٢) تفسير أبي السعود ٢ / ١٨٥.
(٣) سورة آل عمران آية (١٥٩).
(٤) ينظر التحرير والتنوير ٤ / ١٤٥.

كما وصفت تلك الرحمة بأنها من الله سبحانه فدل ذلك على عظمها أيضاً، وأكدت الجملة بـ (ما) فكان ذلك تأكيداً للتعظيم والتفخيم المفهوم من التنكير والإبهام فيها. (١)

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾(٢)

فجاءت كلمة (طائف) نكرة، وأبهم فلم يعين نوعه تعظيماً لما أصاب أصحاب الجنة في جهنم، وأنه أمر عظيم مهلك يحار فيه الناس، ولا تدركه العقول، ووصف ذلك الطائف بأنه من الله فأفاد مزيد تعظيم وتفخيم وتهويل له (٣).

ومنه أيضاً قول الله تعالى :﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾(٤)

فجاءت كلمة (يسراً) منكرة في الآية ومبهمة للدلالة على التفخيم أي مع العسر يسرا عظيم وأيُّ يسر فأبهم حتى تطمئن النفس عند الشدائد بأن اليسر يسر لا حدود له، وقرن مع العسر فجاء التعبير بـ (مع) زيادة في التسلية وتقوية القلب ؛ لأنه لما كان وقوع اليسر بعد العسر بزمن قليل كان مقطوعاً به فجعل كالمقارن له. (٥)

(١) ينظر الألوسى ٢/ ٣١٨ وإعراب القرآن وبيانه ٢ / ٨٨.
(٢) سورة القلم آية (١٩).
(٣) ينظر إعراب القرآن وبيانه ١٠/١٧٨.
(٤) سورة الشرح الآيتان (٥، ٦).
(٥) ينظر مفاتيح الغيب – التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري ٣٢ /٢٠٩ دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ وإعراب القرآن وبيانه ١٠ /٥١٧

وكررت الجملة لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب، وحسن التأكيد في هذا المقام ليدفع ويطرد كل يأس أو قنوط بسبب الشدائد، وليجعلها على ثقة بوعد الله ونصره وفرجه.

ومن النكرات المتوغلة في الإبهام كلمة (شيء)، والغالب عليها دلالتها على التقليل، فإن قلت : لن تأخذ منى شيئاً : أي أقل شيء وأحقره. (١)

ولنا أن نتأمل قول السرىّ الرَّفاء يخاطب أبا إسحاق الصابي (٢) :

فشيئاً من دم العنقو د أجعله مكان دمي

حيث أحسن في التعبير بكلمة (شيء) للدلالة بذلك على قلة المطلوب ومن ثمَّ يكون أقرب إلى القبول والمعنى قليلاً من الخمر يعتاض به عمَّا ضاع من دمه عندما احتجم في زعمه. (٣)

ومنه أيضاً قول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ ﴾ (٤)

وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ (٥) و (شيء) في الآية الأخيرة يراد بها الدية، وحسن التعبير هنا عن الدية بلفظ (شيء) للإبانة عن كونها أمراً قليلاً، فيكون ذلك أدعى إلى الصفح والعفو والتسامح بين المؤمنين.

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ٥ / ٩٩، ٦ / ٢٠٣.
(٢) ديوان السَّرىِّ الرَّفاء ص / ٤١٦ تقديم وشرح / كرم البستاني
مراجعة / ناهد جعفر دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢ / ٥٥.
(٤) سورة البقرة آية (١٥٥).
(٥) سورة البقرة آية (١٧٨).

ومن مواقع كلمة (شيء) الحسنة أيضاً كما يقول عبد القاهر الجرجاني [١] قول عمر بن أبي ربيعة.[٢]

ومن مالئ عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمي

ففي كلمة (شيء) كناية عن محاسن امرأة غير الزوجة، وقد كان لإبهامها دور بارز في التعبير عما يريد ؛ لأن المقام مقام الحج والعبادة فناسب الستر والتحفظ تأدباً مع الموقف، كما أراد أن يلف المتغزل به في ثوب من الغموض ليحرك في النفس الشوق إليه.

كذلك في قول الشاعر أبي حيَّة النمرى [٣]:

إذا ما تقاضي المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ففي كلمة (شيء) إبهام ساعده في الإبانة عن إحساسه بالأيام والليالي حيث إن فيه دلالة على مدى ضجره وسآمته منها.

فإذا جاءت في مقام التعظيم والتفخيم فإنها تقل وتضؤل كما يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني، ولذا عاب على المتنبي قوله [٤]:

لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوَّقه شيءٌ عن الدوران

---

(١) ينظر دلائل الإعجاز ص / ٤٧، ٤٨.

(٢) ديوان عمرو بن أبي ربيعة ٢ /٣٨ قدَّم له ووضع هوامشه وفهارس د/ محمد فايز دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

(٣) شعر أبي حيَّة النمري جمعه وحققه د/ يحي الحبوري ص / ١٠١ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق ١٩٧٥م

(٤) ديوان المتنبي ص / ٤٧٧.

فكلمة (شيء) هنا مراد بها التعظيم والتفخيم أي لعوقه شيء عظيم عن الدوران وهذا يصعب الوقوف عليه ومعرفته من خلال كلمة (شيء) وحدها إن أريد استعمالها في مقام التعظيم والتفخيم والتهويل فينبغي أن تتبع بوصف كاشف عن هذا المعنى كما في قول الله ﷻ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٌ ﴾ (١)

ففي التعبير عن زلزلة الساعة وقيامها بأنها شيء عظيم إيذان بأن العقول قاصرة عن إدراك كنهها، والعبارة ضيفة لا تحيط بها إلا على وجه الإبهام. (٢)

والمتأمل يجد أن كلمة (شيء) جاءت في الآية في مقام التفخيم والتهويل المفاد من التنكير والإبهام فيها، لكنها أتبعت بالنعت (عظيم) الكاشف عن هذا المعنى والمؤكد له.

ومنه كذلك قول الله- ﷻ- : ﴿ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ﴾ (٣) حيث جاءت كلمة (شيء) متبوعة بالوصف الكاشف (نكر)، يقول صاحب التحرير والتنوير : (أنه يدعو إلى شيء عظيم ؛ لأن ما في لفظ (شيء) من الإبهام يشعر بأنه مهول وما في تنكيره من التعظيم ما يجسم ذلك الهول، ووصف شيء بأنه (نكر) أي موصوف بأنه تنكره النفوس وتكرهه.) (٤)

ومن ذلك قول القائل : إن هذا الوجود شيءٌ عجيب.

---

(١) سورة الحج آية (١).
(٢) ينظر تفسير أبي السعود ٦/ ٩٠ والألوسي ٩ / ١٠٦.
(٣) سورة القمر آية (٦).
(٤) التحرير والتنوير ٢٧ / ١٧٧.

فالتأمل في كل ما سبق يجد أن للإبهام في كلمة (شيء) دوره البارز في أداء المعنى المراد سواءً أفادت التقليل والتحقير أم أفادت التعظيم والتفخيم.

ومن الأسماء المبهمة أيضاً (أيّ) وهذا الإبهام جعلها مؤهلة للدلالة على معنى التعظيم والتفخيم إذا وقعت نعتاً أو حالاً.

ولذا يقول الهروي : (تكون (أي) نعتاً فيه معنى المدح كقولك : مررت برجل أي رجل، ورأيت رجلاً أي رجل، وجاءني رجلان أيُّ رجلان، ورأيت رجالاً أي رجال.) [١]

ويقول ابن هشام : (والرابع : أن تكون (أي) دالة على معنى الكمال، فتقع صفة للنكرة نحو : زيد رجل أيُّ رجل، أي كامل في صفات الرجال، و حالاً للمعرفة كـ : مررت بعبد الله أيَّ رجل.) [٢]

فلاحظ الهروي أن (أي) تأتي نعتاً فتفيد معنى المدح، ولاحظ ابن هشام أنها تأتي نعتاً أو حالاً فتفيد معنى الكمال، والذي أهلها للقيام بهذا الدور ما تنطوي عليه من إبهام جعل النفس تذهب في تصور النعت أو الحال كل مذهب، وكأنه أعظم وأفخم من أن يحيط به الوصف فأبهم.

(١) الأزهية في علم الحروف لعلى بن محمد النحو الهروي ص/ ١٠٧
تحقيق / عبد المعين الملوحي مطبوعات مجمع اللغة العربية – بدمشق الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين ابن هشام الأنصاري ص / ١٠٩
تحقيق د/ مازن المبارك ومحمد على حمد الله دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٩٢ م

وإذا زيدت عليها (ما) أفادت التأكيد للتعظيم والتفخيم، ولذا يقول ابن منظور : وقد يكون نعتاً، تقول مررت برجل أي رجل، وأيُّما رجل، ومررت بامرأة أية امرأة، وبامرأتين أيتما امرأتين، وهذه امرأة أيَّةُ امرأة وأيتما امرأتين، و (ما) زائدة، وتقول : هذا زيد أيَّما رجل، فتنصب (أياً) على الحال، وهذه أمة الله أيتما جارية، وتقول : ومررت بجارية أيّ جارية، وجئتك بملاءة أيِّ ملاءة وأيَّة ملاءة، كل جائز [1]

ومن ذلك قول الشاعر [2] :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أيُّ مفسدة

فوصفت مفسدة بأنها (أي مفسدة) فدل ذلك على كونها أمراً عظيماً لا يحيط بها الوصف، ونبه على شدة خطرها والتحذير منها.

ومنه أيضاً قول الله تعالى : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [3]

فـ (أي) في الآية صفة لمصدر محذوف، والعامل (ينقلبون)، أي ينقلبون انقلاباً أي انقلاب.

وفي الآية توعد الله الظالمين توعداً هائلاً صادعاً للأكباد لما في (سيعلم) من تهويل متعلقة، وكذا في إطلاق (الذين ظلموا)، والإبهام في : (أي منقلب ينقلبون) كل ذلك فيه تهويل وتهديد أكيد ووعيد شديد. [1]

---

(١) لسان العرب مادة (أيا).

(٢) ديوان أبي العتاهية ص / ٤٩٥ دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م

(٣) سورة الشعراء آية (٢٢٧).

ويدخل تحت هذا الباب أيضاً المصدر المنصوب على المفعولية المطلقة حينما يكون مؤكداً لعامله، فإن المتأمل فيه يجده منطوياً على إبهام يشعر بمزيد من التأكيد والتفخيم للمعنى.

ولذا قيل : (قد يكون الغرض من المصدر المنصوب أمراً واحداً هو : أن يؤكد – توكيداً لفظياً – معنى عامله المذكور قبله ويقويه، ويقرره (أي يبعد عنه الشك واحتمال المجاز) ويتحقق هذا بالمصدر المنصوب المبهم [٢]) [٣]

ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴾ [٤]

فجاء التعبير بالمصدر المبهم (المفعول المطلق) للدلالة على مدى عظم هذا العرض وهوله، ولذا قيل في تفسيره :(أي عرضاً فظيعاً هائلاً لا يقادر قدره.)[٥]

ومنه أيضاً قوله تعالي : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ [٦]

فالإبهام في (نسفاً) مشعر بالتفخيم والتهويل

وقوله تعالى : ﴿ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا * ﴾ [١]

---

(١) ينظر التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله حسين العكبري ٢ / ٢٧٦ دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

(٢) المصدر المبهم هو : الذي يقتصر على معناه المجرد دون أن تجئ له زيادة معنوية من ناحية أخرى كإضافة أو وصف أو عدد أو (أل) التي للعهد. ينظر النحو الوافي ٢ / ٢٠٧.

(٣) المصدر السابق ٢ / ٢٠٧.

(٤) سورة الكهف آية (١٠٠).

(٥) تفسير أبي السعود ٥ / ٢٤٧.

(٦) سورة طه آية (١٠٥).

فالتعبير بالمصدر المبهم (رجاً) و(بساً) للدلالة على أنه أمر لا يحيط به وصف، يقول الطاهر بن عاشور : (وتأكيده بالمصدر للدلالة على تحقيقه وليأت التنوين المشعر بالتعظيم والتهويل. [٢]

وقول الله – ﷻ– : ﴿ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [٣]

فجاء التعبير بالمصدر (صدوداً) لبيان شدة إعراضهم وصدوفهم ولذا قيل : (" صدوداً " مصدر مؤكد لفعله أي يعرضون عنك إعراضاً و أيَّ إعراض.)[٤]

وقوله تعالى : ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ [٥]

أي تتبيرا فظيعاً لا يوصف. [٦]

وهكذا استشعر المفسرون ما في المصدر المبهم من دلالة على التأكيد والتفخيم والتهويل نستطيع أن نستنبط ذلك من تفسيرهم لمعناه ودلالته في كتبهم.

---

(١) سورة الواقعة آية (٤، ٥).
(٢) التحرير والتنوير ٢٨ / ٢٨٤.
(٣) سورة النساء آية (٦١).
(٤) تفسير أبي السعود ٢ / ١٩٥.
(٥) سورة الإسراء آية (٧).
(٦) تفسير أبي السعود ٥ / ١٥٧.

المبحث الثالث

البيان بالإبهام عن طريق الموصولية

الاسم الموصول اسم مبهم [١] يفتقر دائماً في تعيين مدلوله إلى جملة أو شبه جملة بعده تزيل عنه هذا الإبهام وتسمى بجملة صلة الموصول. [٢]

لذا كان الأصل في جملة صلة الموصول أن تكون جملة خبرية معهودة مشتهرة عند المخاطب حتى يستطيع من خلالها أن يزيل بها الإبهام عن الاسم الموصول قبلها، وتقع عنده موقع الإفادة والقبول. [٣]

فإن قيل : وقفت التي...، نلاحظ أن الاسم الموصول (التي) غامض مبهم فإن قيل، وقفت التي تخطب، زال الغموض والإبهام عن الاسم الموصول ورأينا المعنى قد اتضح. [٤]

كذلك إن تأملنا قول الله – ﷻ– :﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ * ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [٥]

(١) الاسم المبهم هو : المجمل الذي لا تفصيل فيه ولا استقلال ولا تعيين ولا تحديد ينظر النحو الوافي ١ / ٣٤٠.

(٢) ينظر النحو الوافي ١ / ٣٤٠، ٣٤١.

(٣) ينظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك تأليف / جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري ١ / ١٦٨ راجع الكتاب / يوسف الشيخ محمد البقاعي دار المعرفة – بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

(٤) ينظر النحو الوافي ١/٣٤٠، ٣٤١.

(٥) سورة البقرة آية (٢٦، ٢٧).

حيث جاء الاسم الموصول هنا للتعريف بالفاسقين أي الفاسقون الذين عرفوا بخلال ثلاث وهي (الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه)، و (يقطعون ما أمر الله به أن يوصل)، و (يفسدون في الأرض) والمراد بهم اليهود وهم قد عرفوا بما دلت عليه الصلة، بل قد شهدت عليهم كتب أنبيائهم بأنهم نقضوا عهد الله غير مرة، وقد اعترفوا على أنفسهم بذلك، فناسب أن يجعل النقض صلة لاشتهارهم بها. (١)

ولذا يقول صاحب المطول : (والمقام الصالح للموصولية هو أن يصح إحضار الشيء بواسطة جملة معلومة الانتساب إلى مشار إليه بحسب الذهن ؛ لأن وضع الموصول على أن يطلق المتكلم على ما يعتقد أن المخاطب يعرفه بكونه محكوماً عليه بحكم حاصل له.) (٢)

هذا هو الأصل، وقد يأتي الأمر على خلاف ذلك، فتأتي جملة الصلة مبهمة تذهب النفس فيها كل مذهب كما في قوله الله – ﷻ– :

﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ * أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ * إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾ (٣)

(١) ينظر التحرير والتنوير ٣٦٧/١.

(٢) المطول شرح تلخيص المفتاح للعلامة / سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ص/ ٢١٨ تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٣) سورة النجم الآيات من (٨) إلى (١٨).

هذه آيات من أول سورة النجم غرضها تحقيق صدق الرسول – ﷺ– فيما بلغه عن الله – عز وجل –، وأنه منزَّه عن كل ما ادعاه المشركون بحقه – ﷺ– وقد أبانت الآيات عن استقامة جبريل – عليه السلام – على صورته الحقيقية للنبي – ﷺ– دون الصورة التي كان يتمثل بها كلما هبط بالوحي، وأنه دنا منه – ﷺ– ليبلغه الوحي.

وإذا تأملنا قول الله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾ نجد أن جملة صلة الموصول (أوحى) لم ترفع الإبهام عن الاسم الموصول (ما) قبلها وذلك مقصود مراد ؛ لأن من شأن هذا الإبهام أن يجعل النفس تذهب فيه كل مذهب؛ ولذا يقول الزمخشري : (ما أوحى) تفخيم للوحي الذي أوحى الله إليه.) [١]

ويقول ابن المنير معلقاً على كلام الزمخشري : (التفخيم لما فيه من إبهام، كأنه أعظم من أن يحيط به بيان.) [٢]

ويقول أبو السعود مبيناً عن إبهام الصلة وشدة تركيزها وإيجازها : (أي من الأمور العظيمة التي لا تفي بها العبارة.) [٣]

وكأن الموحي أعظم من أن يحيط به بيان، فأبهم، وجعل عاماً، وذلك أبلغ لأن السامع يذهب وهمه فيه كل مذهب. [٤]

تآزر مع ذلك التعبير بالاسم الظاهر (عبده) وإضافته إلى ضمير الجلالة للتعظيم والتشريف.

---

(١) الكشاف ٤ / ٤٢٠.
(٢) الانتصاف ٤ / ٤٢٠.
(٣) تفسير أبو السعود ٨ / ١٥٦.
(٤) ينظر إعراب القرآن وبيانه ٣٤٨/٩.

كذلك لنا أن نتأمل قول الله – عز وجل – بعد هذه الآيات : (إذ يغشي السدرة ما يغشى) نجد أن جملة صلة الموصول (يغشى) لم ترفع الإبهام عن الاسم الموصول قبلها (ما) أيضاً، والغرض من ذلك التعظيم والتكثير، ولذا يقول الزمخشري : (" ما يغشى " تعظيم وتكثير لما يغشاها، فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدَّالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف.) (١)

ويقول أبو السعود : (وفي إبهام (ما يغشى) من التفخيم ما لا يخفى، و تأخيره عن المفعول (السدرة) للتشويق إليه، أي : ولقد رآه عند السدرة وقت ما غشيها مما لا يكتنهة الوصف، ولا يفي به البيان كيفاً ولا كما.) (٢)

فكأن الغاشى أمر لا يحيط به نطاق البيان، ولا تسعة أردان الأذهان وفي التعبير بالفعل المضارع (يغشى) إيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد كما أن فيه استحضار لصورة الغاشي البديعة، (٣)

والإبهام جاء في الآيتين حيث لم تعينا الموحي به ولا الغاشي ولا كمه ولا كيفه، وإنما جاءتا مرسلتين هكذا دون تعيين أو تحديد حتى يدع الإبهام للذهن فرصة كي يتصور عظم الموحى وعظم الغاشي وكثرته، وكأنه تضيق عنه عبارات الوصف.

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى : ﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴾ (٤)

(١) الكشاف ٤ / ٤٢١.
(٢) تفسير أبي السعود ٨/ ١٥٧.
(٣) ينظر تفسير الألوسي ١٤/٥١.
(٤) سورة طه آية (٧٨).

أوحى الله – عز وجل – إلى موسى – عليه السلام – أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً لينقذهم من فرعون وجنوده، فعلم فرعون بخروج موسى ومن معه من المؤمنين، فأتبعهم بجيشه، فأدركهم عند البحر، وسار هو وجنوده وراءهم في الطريق التي تفتحت في البحر لموسى وقومه عندما ضرب البحر بعصاه لما أوحى الله إليه بذلك، فأطبق البحر على فرعون وجنوده، فأغرقهم جميعاً، وكان هذا الموقف المهول وأبان عنه قول الله – جل وعلا – : " فغشيهم من اليم ما غشيهم "

حيث ناسب ما في الاسم الموصول (ما) وصلته (غشيهم) من الإبهام البيان عن عظم وهول هذا الأمر.

والمعنى : أن ما علاهم وغمرهم من اليم أمر هائل لا يقادر قدره، ولا يبلغ كنهه، وكأن مدار التهويل والتفخيم يكمن في خروج الأمر عن حدود الوصف وأن تفصيله تقصر عنه العبارة. (١)

كما أن في الإبهام إثراءً للمعنى، وإيجازاً بليغاً، ولذا قيل : ((ماغشيهم) من باب الاختصار، ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها بالمعاني الكثيرة.) (٢)

ومنه كذلك قول أبي نواس (٣):

ولقد نهزت مع الغواة بدلوهم وأَسَمْتُ سرح اللحظ حيث أساموا

وبلغت ما بلغ امرؤٌ بشبابه فإذا عصارة كل ذاك أثــام

(١) ينظر تفسير أبي السعود ٦ / ٣٢، ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لأبي العباس أحمد بن محمد بن يعقوب المغربي ٢٠٤/١
تحقيق د/ خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ
(٢) الكشاف ٧٨/٣.
(٣) المثل السائر ٢ / ١٣ والإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٢ / ١٥ تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجي دار الميل – بيروت الطبعة الثالثة

والمراد أنه أدلى بدلوه مع الغواه، وكان واحداً منهم، وسار في كل طرق عبثهم ومجونهم في شبابه، وأبان أيما إبانة عن ذلك بقوله :

وبلغت ما بلغ امرؤٌ بشبابه

فأشار إلى أن ما بلغه من المجون واللهو أكثر من أن يذكر، فكان للتفخيم بطريق الإبهام عن طريق التعبير بالاسم الموصول وصلته ما يبين عن فداحة ما ارتكب من معاصٍ وعظم ما اكتسب من ذنوب.

وكذلك قول أبي نواس أيضاً : (١)

مضى بها ما مضى من عقل شاربها وفي الزجاجة باقٍ يطلب الباقي

فالشاعر هنا أراد أن يبين عن أثر الخمر وما فعلته بعقله فقال : (مضى بها ما مضى) فأفاد التعبير بالاسم الموصول وصلته المبهمين التفخيم والتهويل من أمر الخمر، وبيان أن ما فعلته به أمر لا يوصف، ولا يدرك كنهه.

ومنه قول دريد بن الصمة : (٢)

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه فلما علاه قال للباطل ابعد

فقوله (صبا ما صبا) وما فيه من إبهام أبان عن ضروب شتى من العبث والمجون يضيق اللفظ عن ذكرها ويقصر.

ومنه كذلك قول كثير عزة : (٣)

---

(١) المثل السائر ٢ / ١٣ والإيضاح ٢ / ١٥.
(٢) ديوان الحماسة ص / ٤١ المقطوعة رقم ٢٧١.
(٣) ديوان كثير عزة جمعه وشرحه د/ إحسان عباس ص/ ٥٢٦
دار الثقافة – بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

تجافيت عنى حين لا لي حيلة وخلفت ما خلفت بين الجوانح

فقوله (خلقت ما خلقت) أبان أن ما خلفته محبوبته بين جوانحه بسبب تجافيها عنه من الألم والحزن والضيق أمر لا تحيط به العبارة. (١)

ومنه أيضاً قول زهير بن أبى سلمى يمدح الهرم بن سنان : (٢)

إن الخليط أجد البيت فانفرقا وعلق القلب من أسماء ما علقا

فأبان عن شدة تعلق قلبه بأسماء بقوله (وعلقا القلب من أسماء ما علقا) فأفاد التعبير بالاسم الموصول وصلة المبهمة أنه متعلق بها أشد التعلق وأقواه، وأنه لا يمكن وصف ما بينهما من صلة وعلقه ورباط ولذا أتبع هذا البيت بما يؤكد هذا المعنى ويقرره فقال (٣) :

وفارقتك برهن لا فكاك لـه يوم الوداع، فأمسى الرهن قد علقا

وبذلك يتبين وينكشف أن هذا الأسلوب وما فيه من إبهام مقصود مراد أسلوب فيه جلال، ومفعم بالظلال والضباب، لا يكشف لنا المراد منه انكشافاً ضاحياً، ولا يحجب عنا حجباً قاتماً، وإنما تتراءى لنا فيه المعاني هاربة في غيم شفيف، ومن شأن ذلك أن يجعل لها في النفوس سحراً وخلابة. (٤)

وديوان الحماسة ص/ ١٣٦ رقم (٥٠٦)

(١) ينظر خصائص التراكيب د / محمد محمد أبو موسى ص / ١٩٩ مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

(٢) ديوان زهير بن أبى سلمى شرحه وقدم له الأستاذ / على حسن فاعور ص / ٧٢ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م

(٣) ديوان زهير ص / ٧٢.

(٤) ينظر خصائص التراكيب ص / ١٩٩.

المبحث الرابع

البيان بالإبهام عن طريق الاستفهام

تندفع نفس المتكلم حين يرى شيئاً عظيماً فخماً للتعبير عن عظمته وفخامته بأسلوب الاستفهام أحياناً، فإذا رأى قصراً عظيماً فخماً قال : ما هذا القصر ؟ وكيف بنى هذا القصر ؟، ومن بنى هذا القصر ؟، وإذا سمع شاعراً مبدعاً قال: ما هذا الشاعر ؟، من أين له بهذا الشعر البديع ؟، وهو لا يريد الإجابة عن استفهاماته، إنما يريد التعبير عن عظمة ما رأى أو سمع. (١)

ومن ثمَّ فإن الاستفهام في مثل هذه المقامات يشير إلى أن هذا الشيء المستفهم عنه بلغ حداً من الغرابة لأمر مبهم يخفى على كثير من الناس، ومن شأنه أن يستفهم عنه، ولكن لا يستطيع أحد الوقوف عليه والإحاطة به ؛ لأنه بلغ حداً لا يوصف، فيكتفي في البيان عن حاله بالاستفهام.

وكأن من يستفهم عن هذا الأمر المعجب يريد أن يشير إلى أن من شأن هذا المستفهم عنه أن يغمض أمره، ويخفى سره، ولذا كان للإبهام ما له في مثل هذا الأسلوب.

ولذا يقول صاحب مواهب الفتاح : (ولما كان الأمر الهائل من شأنه عدم الإدراك حقيقة أو ادعاءً لزم من ذلك أن من شأنه أن يكون مجهولاً يسأل عنه فبين التهويل والاستفهام ملابسة، فاستعمل لفظ أحدهما في الآخر مجازاً.) (٢)

ومن أمثلة ذلك في القرآن الكريم :-

---

(١) ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها تأليف / عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني ١ / ٢٨٣ دار القلم – دمشق الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

(٢) مواهب الفتاح ١ / ٤٩٨.

قول الله تعالى : ﴿ ٱلْحَآقَّةُ * مَا ٱلْحَآقَّةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾ (١)

وقوله تعالى : ﴿ ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾ (٢)

فهذه الآيات تتحدث عن القيامة وأهوالها، وجاءت مفتتحة بالاستفهام الذي عمل على استثاره ذهن المخاطب حتى يذهب كل مذهب، وحتى يرده ما ينطوى عليه من إبهام إلى كونها أمراً فوق الوصف، وخارجاً عن طوق البيان.

وجاء الاستفهام بـ (ما) في قوله تعالى : ﴿ ٱلْحَآقَّةُ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَة مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴾، ليكنى به عن تعذر إحاطة علم الناس بكنه الحاقة ؛ لأن الشيء الخارج عن حد المألوف لا يتصور بسهولة، فمن شأنه أن يستفهم عنه. (٣)

وهذه الاستفهامات تحمل معنى التعظيم لما تنطوي عليه من هذا الإبهام الذي استثار السامع ليتخيل أقصى جهده. (٤)

والأصل أن يقال : الحاقة ما هي، ولكنه وضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التعظيم والتهويل. (٥)

ثم أردف هذان الاستفهامان باستفهامين آخرين :

فقال تعالى : " وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ "، وقال : " وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ " ولم تصرح هذه الآيات ببيان ماهيه الحاقة وكنهها، ولكن جاءت بالاستفهام الذي أبهم

(١) سورة الحاقة الآيات (١، ٢، ٣).
(٢) سورة القارعة الآيات (١، ٢، ٣).
(٣) ينظر التحرير والتنوير ١٢ / ١١٣.
(٤) ينظر تفسير ابن عطية ٥ / ٣٥٦.
(٥) ينظر إعراب القرآن وبيانه ١٩١/١٠.

الجواب وجعله مطوياً، والمعنى عليه : وما أعلمك يا محمد ما هي القيامة ؟، إنك لا تعلمها إذ لم تعاينها، ولم تر أهوالها، فإنها من العظم والشدة بحيث لا يحيط بها وصف ولا خيال، وهذا على طريقة العرب فإنهم إن أرادوا تشويق المخاطب لأمرٍ أتوا بصيغة الاستفهام، يقولون : أتدري ماذا حدث ؟، والآية من هذا القبيل زيادة على ما تدل عليه من التعظيم و التهويل، كأنه قيل: إنها شيءٌ مريع وخطب فظيع. (١)

ولذا يقول الإمام أبو السعود مبيناً عن الإبهام المفضي إلى معنى التفخيم في الآية :(وقوله تعالى : (وما أدراك) أي شيء أعلمك (ما الحاقة) تأكيد لهولها وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علوم المخلوقات على معنى عظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا تكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه، كيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك وأعظم، فلا يتسنى الإعلام.) (٢)

والحاقة والقارعة صفتان لموصوف محذوف أي الساعة الحاقة والساعة القارعة وحذف الموصوف فيهما للإيذان بكمال اتصافه بهاتين الصفتين. (٣)

ومن ذلك أيضاً قول الله – عز وجل – :

﴿ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴾(٤) حيث جاء الاستفهام في الآية وما يحمله من إبهام ليكشف عن أن أصحاب الميمنة في غاية حسن الحال لدرجة لا توصف، ومن ثمَّ أفاد معنى

(١) ينظر صفوة التفاسير المؤلف / محمد على الصابوني ٣ / ٤١١
دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
(٢) تفسير السعود ٩ / ٢١.
(٣) ينظر إعراب القرآن وبيانه ١٠ / ١٩١.
(٤) سورة الواقعة الآيات (٨، ٩).

التفخيم والتعظيم، وليكشف عن أن أصحاب المشأمة في نهاية سوء الحال لدرجة لا حدود لها، ومن ثَمَّ أفاد معنى التهويل. (١)

ومنه كذلك قوله تعالى :﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ *وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾(٢) والطارق صفة لموصوف محذوف، فأبهم الموصوف بالطارق ابتداءً، ثم زيد إبهاماً مشوباً بتعظيم أمره بقوله تعالى : (وما أدراك ما الطارق) تنبيهاً على أن رفعة قدره بحيث لا ينالها إدراك الخلق. (٣)

ومنه أيضاً قول الله – ﷻ- : ﴿ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ * يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ (٤) ففي هذه الاستفهامات المتوالية إبهام مراد منه التفخيم لشأن يوم الدين الذي يكذب به الكافرون إثر تفخيم، وتهويل بعد تهويل ببيان أنه خارج عن دائرة دراية الخلق على أي صورة تصوروه فهو فوقها، وكيفما تخيلوه فهو أطم من ذلك وأعظم.(٥)

ومنه أيضاً قول الله– ﷻ- :﴿ فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ * وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴾ (٦) حيث جاء الإبهام بطريق الاستفهام في هذه الآية ليبين عن أن اقتحام العقبة بلغ درجة من العظم تقصر عنها دراية الخلق. (٧)

ومنه كذلك قول الله تعالى:﴿ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ *وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ﴾ (٨)

---

(١) ينظر الألوسى ١٣١/١٤.
(٢) سورة الطارق الآيات (١، ٢)
(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٥٨/٣٠.
(٤) سورة الانفطار الآيات (١٨، ١٩).
(٥) ينظر أبو السعود ١٢٢/٩.
(٦) سورة البلد الآيات (١١، ١٢).
(٧) ينظر تفسير الألوسي ٣٥٣/١٥.
(٨) سورة الهمزة الآيات (٤، ٥).

فأبان الاستفهام وما ينطوي عليه من إبهام عن أن أمر الحطمة أمر هائل ليس من الأمور التي تنالها وتدركها عقول الخلق. (١)

ومنه أيضاً قول كعب بن سعد الغنوي يرثى أخاه : (٢)

أخي ما أخي لا فاحش عند بيته ولا روع عند اللقاء هيوب

فأشار بالاستفهام في قوله (أخي ما أخي) إلى أن أخاه بلغ درجة عظيمة من الشرف وعلو المكانة، تعوذ الفرد للاستفهام عنها لمعرفة كنهها والوقوف عليها.

ويدخل تحت هذا الباب أيضاً قول الرجل : جاءني رجل وأيُّ رجل ؟

حيث أفاد الاستفهام هنا بيان أن المتحدث عنه بلغ درجة عظيمة من الرفعة والشرف من شأنها عدم الإدراك لها، والوقوف عليها حقيقة أو ادعاءً، ويلزم من ذلك أن يكون المتحدث عنه مجهولاً مبهماً يستفهم عنه، كما يستفهم عن غرائب الأمور ومبهماتها، ولا شك أن مثل هذا الاستفهام يحمل في طيه من التفخيم والتعظيم والتعجب مالا يحمله التصريح.

ومن ذلك قول العرجي :(٣)

أضاعوني وأيُّ فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر ؟

(١) تفسير أبي السعود ٩ / ١٩٩.
(٢) العمدة ١ / ٣٠٦.
(٣) ديوان العرجي جمعه وحققه وشرحه د / سجيع جميل الجبيلي
ص / ٢٤٦ دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م

فأفاد الاستفهام في قوله : (وأي فتى أضاعوا) وما ينطوي عليه من إبهام إلى أن هؤلاء القوم عندما أضاعوه أضاعوا فتى عظيماً لا يقادر قدره، ولا يمكن وصف شجاعته وقوته.

ويمكن القول بعد كل هذا أن الاستفهام في مثل هذا المقام يعمل على التنبيه والدعوة إلى التفكر و التعقل، حيث إنه بما ينطوي عليه من إبهام يكون دافعاً للمخاطب بأن يجول بخاطره ويجول، ويذهب كل مذهب علَّه يقف على جواب سؤاله، فإذا به ينقلب إليه العقل كليلاً حسيراً، ولا يدرك منه سوى أن هذا الأمر فوق البيان، وفوق ما تخيل وذهب إليه، لذا كان أولى به أن يأتي في ثوب الاستفهام و الإبهام دون ثوب التصريح والبيان.

المبحث الخامس

البيان بالإبهام عن طريق الكناية والتعريض

وقد يعمد البليغ إلى إبهام أمر فيكني عنه أو يعرض به لغرض بلاغي كالمدح أو الستر والصيانة، أو التعبير عن الصعب بالسهل أو عن الفاحش بالطاهر، أو عن المعنى القبيح باللفظ الحسن [١]، و من ذلك قول الله – ﷻ – : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾[٢]

فكلمة (بعض) في قوله تعالى : (ورفع بعضهم درجات) كناية عن سيدنا محمد – ﷺ – وجاء التعبير بالإبهام عن طريق الكناية تفخيماً لفضله، وإعلاءً لقدره – ﷺ – ولذا يقول الزمخشري : (وفي هذا الإبهام من تفخيم فضله وإعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذي لا يشتبه، والمتميز الذي لا يلتبس، ويقال للرجل : من فعل هذا ؟ فيقول : أحدكم أو بعضكم، يريد الذي تعورف واشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح، وأنوه لصاحبه، وسئل الحطيئة عن أشعر الناس فذكر زهيراً والنابغة، ثم قال : ولو شئت لذكرت الثالث – أراد نفسه – ولو قال : ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم أمره.) [٣]

واستحسن ابن المنير السكندري هذا الرأي فقال : (وإنما أوردت هذا الفصل من كلامه استحساناً لفظاً ومعنى، وتبركا بإعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه، وأصاب الزمخشري في قوله : حيث أوتى النبي عليه

(١) ينظر البلاغة العالية (علم البيان) تأليف الشيخ / عبد المتعال الصعيدي ص / ١٤١ مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
(٢) سورة البقرة آية (٢٥٣).
(٣) الكشاف ١ / ٢٩٧.

الصلاة والسلام من الفضل المنيف على سائر ما أوتيه الأنبياء على الجميع الصلاة والسلام.) [١]

كما نلمح في التعبير بالإبهام في الآية سراً آخر وهو رفع الحرج عن المبلغ، ولذا قيل : (وعليه فالعدول من التصريح بالاسم أو بالوصف المشهور به لقصد رفع الاحتشام عن المبلغ الذي هو المقصود من هذا الوصف وهو محمد – ﷺ–.) [٢]

والعرب كثيراً ما تعبر بالبعض عن النفس، ومنه قول لبيد :

تراك أمكنة إذا لم أرضها أو يرتبط بعض النفوس حمامها [٣]

فأراد بقوله (بعض النفوس) نفسه، فأتى بالكناية والإبهام حتى لا يصرح بإثبات الموت إلى نفسه، وحتى يفخم من شأنها بهذا الإبهام كأنه قال : نفساً كبيرة، ونفساً أي نفس. [٤]

ومن ذلك أيضاً قول أبي الطيب المتنبي : [٥]

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة ففي الناس بوقات لها وطبول

فكنى الشاعر بقوله (بعض الناس) سيف الدولة الحمداني، وكني بقوله (ففي الناس بوقات لها وطبول) عن نفسه، وأبهم ليكون أفخم وأبلغ.

---

(١) الانتصاف ١ / ٢٩٧.
(٢) التحرير والتنوير ٦/٣.
(٣) ديوان لبيد بن ربيعة شرح الطوسي تحقيق د / حنا نصر الحتي ص / ٢٢٧ دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
(٤) ينظر الكشاف ١ / ٦٤١.
(٥) ديوان المتنبى ص / ٣٥٩.

ومنه أيضاً قول البحتري : [١]

لئن صدفت عنا فربة أنفس صوادٍ إلى تلك الخدود الصوادف

فقال : (فربة أنفس صوادٍ) فعمم، وهو يريد نفسه، فكنى وأبهم في التعبير عن نفسه، وتلك طريقة من طرق الشعراء في قولهم الشعر ليكون ذلك حيلة وصنعة منهم لإخراج ما يكن في صدورهم وقلوبهم، كما أن المعنى إذا غلف بذلك الغيم الشفيف كان أفخم له وأبلغ وآكد.

والذي يعين المراد في هذا كله هو القرينة كانطباق الخبر أو الوصف على واحد كقول طرفة [٢]: **إذا القوم قالوا من الفتى خلت أنني عنيت فلم أكسل ولم أتبلد.**

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى:﴿ **وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [٣] فالمراد بـ (على بعض) أي عليكم، ولكن جاء الخطاب مبهما تلطفاً من المولى – جل وعلا – في خطابهم، ولذا قيل : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) أي عليكم، ولعل إيثار الإبهام عليه للتفادي عن المواجهة بما يشق عليهم.) [٤]

ومنه كذلك قول الله تعالى :

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾ [٥]

---

(١) ديوان البحتري عن تحقيقه وشرحه والتعليق عليه / حسن كامل الصيرفى ص / ١٣٩١ دار المعارف الطبعة الثالثة.

(٢) ديوان طرفة بن العبد شرحه وقدم له / مهدى محمد ناصر الدين ص / ٢٣ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

(٣) سورة النساء آية (٣٢).

(٤) تفسير أبى السعود ٢ / ١٧١.

(٥) سورة المائدة آية (٤٩).

فذهب الزمخشري إلى أن المراد بـ (ببعض ذنوبهم) كناية عن ذنب التولى وفي إبهامه تفخيم لذلك الذنب، ولذا يقول : (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) موضع ذلك، وأراد أن لهم ذنوباً جمة كثيرة العدد، وأن هذا الذنب مع عظمة بعضها وواحداً منها، وهذا الإبهام لتعظيم التولى واستسرافهم في ارتكابه.) [١]

ومنه أيضاً قول الله تعالى :﴿ الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ * فِي بِضۡعِ سِنِينَ ﴾ [٢]

ففي التعبير بـ (بضع سنين) إبهام، حيث إنها كناية عن الوقت المحدد الذي ستنتصر فيه الروم،وفائدته إدخال الرهبة في قلوب المشركين في كل وقت، والإشعار بأن زهوهم بأنفسهم واعتدادهم بقوتهم ليس إلا حين بطول أو يقصر، ولكنه آيل إلى الانتهاء، ومفض إلى العاقبة الحتمية وهي الارتداد والانتكاس.[٣]

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى :

﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلۡتَ فَعۡلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلۡتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [٤]

والفعله : المرة الواحدة من الفعل، والمراد بها : كفر نعمة فرعون من حيث الاعتداء على أحد خاصته وموالي آله، وذلك لأن موسى – عليه السلام – انتصر لرجل من عشيرته من بني إسرائيل الذين يعدهم فرعون عبيده وعبيد

(١) الكشاف ١ / ٦٤٠، ٦٤١.
(٢) سورة الروم آية (١، ٢، ٣، ٤).
(٣) ينظر إعراب القرآن وبيانه ٧ / ٤٧٢.
(٤) سورة الشعراء آية (١٨، ١٩).

قومه، وكان يرى أن واجب موسى أن يعد نفسه من قومه فلا ينتصر لأحد عبيده. (١)

وفي العدول عن ذكر فعلة معينة إلى ذكرها مبهمة مضافة إلى ضمير الخطاب في كلمة (فعلتك)، ثم وصفها بما لا يزيد على معنى الموصوف بـ (التي فعلت) تهويل مراد به التفظيع. (٢)

ولذا يقول ابن المنير : (ووجه التفظيع عليه من ذلك أن في إتيانه به مجملاً مبهماً بأنه لفظاعته مما لا ينطق به إلا مكنياً عنه.) (٣)

ومنه كذلك كلمة (المفتعل) حيث يكني بها وبما فيها من إبهام عن كل أمر عظيم لم يعهد مثله، ومنه : سئل الدبيري عن جرحه فقال : أرقني وجاء بالمفتعل أي جاء بأمر عظيم، قيل له : تقوله في كل شيءٍ ؟، قال : نعم، أقول : جاء مال فلان بالمفتعل، وجاء بالمفتعل من الخطأ، ويقال : عذبني وجع أسهرني فجاء بالمفتعل إذا عانى منه ألما لم يعهد مثله فيما مضى له. (٤)

ووجه المبالغة في كل ما سبق هو ما ينطوى عليه لفظ الافتعال من إبهام، فكأن هذا الأمر المراد بيانه بلغ درجة من القوة والعظم لا يمكن التعبير عنه إلا عن طريق الكناية والإبهام.

ومن ذلك أيضاً ما ورى أن أعرابياً قال للنبي – ﷺ – :

" **إن الآخر وقع على أهله في رمضان** " (٥)

---

(١) ينظر التحرير والتبوير ١٩ / ١١٢.

(٢) ينظر التحرير والتنوير ١١٢/١٩.

(٣) الأنصاف ٣ / ٣٠٥.

(٤) ينظر لسان العرب مادة : فعل.

(٥) صحيح البخاري – كتاب الصوم – باب المجامع أهله في رمضان هل يطعم أهله إن كانوا محاويج – رقم (١٩٣٧) ٣٣٢/١.

فقال (الآخر) فأبهم وكنى به عن نفسه، وكأنه من قبيل التجريد، أي جرَّد من نفسه شخصاً تنزيهاً لها من أن يتحدث عنها بما ذكره. وفيه أيضاً ذم للفاعل فكأنه يتبرأ منه ويقول : الأبعد أو الأرزل. (١)

ومن ذلك أيضاً أن العرب تكني بكلمة (الفاعلة) عن الزانية، فيبهمون في التعبير عنها تأدباً، ومن ذلك قول أبي الطيب المتنبي : (٢)

كذب ابن فاعلة يقول بجهلة مات الكرام وأنت حي ترزق

فكنى الشاعر بالفاعلة عن الزانية بياناً بفحش هذا الفعل، وأنه من الأمور التي لا يحسن التعبير عنها إلا بأن تأتي مبهمة مطورة، وخاصَّة أن الشاعر كان في مقام مدح، فلا يليق به في هذا المقام أن يذكر مثل هذه الألفاظ.

ومما يدخل تحت هذا الباب أيضاً قول المرء : قال لي إنسان كذا فلا يصرح باسمه، وإنما يقول تعريضاً بشخص يعرفه، والقصد من وراء ذلك إبهام اسمه وإخفاء القائل خاصة إذا كان القول الصادر منه يكسب ذماً أو نقصاناً. (٣)

وجاء ذلك كثيراً في القرآن الكريم ومنه :

قوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)

(١) ينظر التحرير والتنوير ٥ / ٢٢٣ وعمدة القارئ ١٢٠/٨.
(٢) ديوان المتنبي ص / ٢٩.
(٣) ينظر التحرير والتنوير ١ / ٢٦٠.
(٤) سورة البقرة آية (٨).

وقولـــه تعـــالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ (١)

وقولـه تعـالى:﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ** ﴾ (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ ﴾ (٣)

وقوله تعالى:﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ** ﴾ (٤)

فكل تلك الآيات جاءت معرضة بأناس كانوا سبباً في نزولها كالنضر بن الحارث والأخنس بن شريق وغيرهم، ولكن جاءت الآيات مبينة بالتعريض دون التصريح لإبهام أسمائهم زجراً لهم ولكل من على شاكلتهم، وهذا من باب الدعوة بالرفق واللين – حيث سترتهم ولم تشهر بهم، وتفضحهم.

لأن المخاطب إن علم أن القرآن قد فضحه سينفر وينفر غيره، لكن الإبهام أعطى فرصة للمدعو كي يعود ويرجع ويذعن للحق.

وهكذا يعلمنا القرآن طريقة الدعوة إلى الله بالحسنى والموعظة الحسنة القائمة على التعريض دون التصريح والإشارة دون العبارة، لأن طريقة الداعي في دعوته سبب رئيسي في قبول المدعو للدين أو نفرته عنه. (٥)

وقد جاء التعريض في كل تلك الآيات بالتعبير بقوله تعالى : (ومن الناس)، وفي ذلك بجانب الإبهام والتعميم تشويق إلى تلقى الخبر بعده، ولذا قيل (وقد

---

(١) سورة البقرة آية (٢٠٤).

(٢) سورة الحج آية (٨).

(٣) سورة الحج آية (١١).

(٤) سورة لقمان آية (٦).

(٥) ينظـــر التحريـــر والتنـــوير ١ / ١٦٠، ٢ / ٢٦٦، /٢٧٢/٢، ١٩٢/١٧، ٢١٠/١٧، ٢٠٦/١٧، ٢١/ ١٤٣.

كثر تقديم الخبر في مثل هذه التراكيب لأن في تقديمه تنبيهاً للسامع على عجيب ما سيذكر، وتشويقاً لمعرفة ما يتم به الإخبار، ولو أخر لكان موقعه زائداً لحصول العلم بأن ما ذكره المتكلم لا يقع إلا من إنسان.) [١]

كذلك مما يدخل تحت باب الإبهام بالتعريض : قول المعلم للطالب النابه : أنت طالب مجد نابه، وهو يقصد من ثنائه عليه أن يعرض بمن بجواره إن كان غافلا.

فتلك طريقة من المعلم فيها تلطف حتى لا ينفر منه الغافل، ولكن يأخذ بيده إلى العلم، ويحببه فيه.

ومن ذلك قول قيس بن زهير العبسي : [٢]

لعمرك ما أضاع بنو زياد ذِمار أبيهم فيمن يضيع

فقوله (ما أضاع بنو زياد ذمار أبيهم) تعريض بآخرين أضاعوا ذمار أبيهم ؛ لأن الذين أخبر عنهم الشاعر أشهر أمراً وأعظم شأناً من أن يقال فيهم ذلك.[٣]

ومنه أيضاً قول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ [٤]

فالآية نزلت في صهيب الرومي – رضى الله عنه – حين خرج مهاجرا إلى المدينة وترك كل ما يملك ليلحق بالنبي – ﷺ – والمتأمل الآية يجد أنها لم

(١)التحرير والتنوير ١ / ٢٦٠.
(٢) ديوان الحماسة ص / ٤٨ المقطوعة رقم (١٥٨).
(٣) ينظر شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/ ٣٣٧.
(٤) سورة البقرة آية (٢٠٧).
ينظر التحرير والتنوير ٢ / ٢٧٣.

تصرح باسم هذا الصحابي الجليل، وهذا الإبهام أبلغ من البيان ؛ لأن فيه إشارة إلى اشتهاره بذلك، وأن الأذهان ستنصرف إليه بغير تصريح، وفي ذلك من علو المكانة وعظم الشرف ما فيه، كما أن فيه حث لغيره على أن يفعل مثله فيكون ممن ذكرهم الله – ﷻ – في كتابه، ومن ثمَّ ففي الإبهام والتعريض من التعظيم والتفخيم والنصح ما ليس في البيان والتصريح في مثل هذا المقام.

المبحث السادس

البيان بالإبهام عن طريق المجاز

وقد يأتي الإبهام عن طريق المجاز وذلك بإسناد القول أو الفعل إلى الجمع أو الجنس والمراد الفرد المعين [١]، أو باتخاذ صيغة الجمع والتعبير بها عن الواحد [٢] ولكن جاء هكذا لغرض بلاغى كعدم الحاجة إلى التعيين، أو الستر له في موقف لوم أو عتاب أو تحقير، أو غير ذلك من الأغراض، فيعبر بالجمع حينئذ ليكون المقصود المعنىُّ مغموراً مبهماً فيه مستوراً أمره. [٣]

وذلك كما يقولون : بنو فلان قتلوا فلاناً، وإنما القاتل رجل منهم، وإنما قال ذلك ستراً وإخفاءً للقاتل، وليبين عن أنهم كانوا راضين بما فعل. [٤]

ومنه قول الحارث بن وعله الذهلى : [٥]

قومى هم قتلوا أميم أخـي فإذا رميت يصيبني سهمـي

(١) عن طريق المجاز العقلي بإسناد الفعل إلى الجنس كله وهو في الحقيقة مسند إلى بعضه ينظر : البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د / محمد محمد أبو موسى ص /٥٣٥ مكتبة وهبه الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.

(٢) عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته العموم أو العامية ينظر : حاشية الإنبابي على الرسالة البيانية ص / ٢١٨ الطابعة الأولى مطبعة الأميرية ببولاق – مصر ١٣١٥هـ.

(٣) ينظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ د / محمد الأمين الخضري ص / ١٢٠. مطبعة الحسين الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

(٤) الكشاف ٣ / ٣١.

(٥) ديوان الحماسة ص / ٢٣ المقطوعة رقم (٤٥).

فالقاتل واحد منهم، وليس كل القوم باشروه بأيديهم، وإنما أسند القتل إلى الجنس ولم يعين القاتل ستراً له وإبهاماً، كما أن في هذا الإسناد إشارة إلى أن القتل حدث بعلمهم ورضاهم.

ومنه أيضاً قول الله – ﷻ – :

﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ (١)

فجاء التعبير باسم الجمع المحلى بالألف واللام الجنسية في كلمة (الناس) والمراد الفرد الواحد وهو الصحابي نعيم بن مسعود، وجئ بالتعبير هكذا عن طريق المجاز المرسل ستراً وإبهاماً لهذا الصحابي الجليل، ولذا يقول الشهاب الخفاجي : (وإن كان نعيماً فأطلق عليه ذلك كما يطلق الجمع واسم الجمع المحلى بالألف واللام الجنسية على الواحد منه مجازاً.) (٢)

ونصَّ صاحب التحرير والتنوير على السر البلاغي من ذلك فقال : (وإطلاق (الناس) مراداً به واحد أو نحوه مستعمل لقصد الإبهام.) (٣)

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى :

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾ (٤)

فقد نزلت هذه الآية في أبى بكر الصديق – ﷺ – حين حلف أن لا ينفق على مسطح بعد أن خاض في حديث الإفك مع الخائضين، فكان في هذا من الله

---

(١) سورة آل عمران آية (١٧٣).

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوى المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي المؤلف / شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي دار صادر – بيروت ٨٢/٣

(٣) التحرير والتنوير ٤ / ١٦٨.

(٤) سورة النور آية (٢٢).

عتاب المحب، لذا أبهمه ولم يصرح به مستخدماً صيغة الجمع (أولوا الفضل) [١] عن طريق المجاز المرسل الذي علاقته العموم.

ومنه كذلك قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ ﴾ [٢]

نزلت تلك الآية تأنيباً لحاطب بن أبي بلتعة حين أرسل إلى قريش كتاباً يخبرهم فيه بنبأ خروج الرسول – ﷺ – لفتح مكة، وفي خطاب الجماعة بـ (يا ايها الذين آمنوا) وإرادة الواحد وهو (حاطب) إبهام قصد إليه القرآن ستراً لضعفه، وابتعاداً عن التشهير عنه وهو من أصحاب رسول الله – ﷺ – الذين حضروا بدراً، وذلك من آداب الخطاب التي نتعلمها من القرآن الكريم. [٣]

ومنه أيضاً ما روى عن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت " كان النبي – ﷺ– إذا بلغه عن الرجل الشيء لم يقل ما بال فلان يقول، ولكن يقول : ما بال أقوام يقولون كذا وكذا " [٤]

فالتعبير بـ (ما بال أقوام) دون التصريح باسم القائل وإبهامه فيه إرشاد وتوجيه بالموعظة الحسنة الهادئة التي تتحاشى التشهير والتوبيخ، وكيف لا ؟! وهي

(١) ينظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ص / ١٢١.
(٢) سورة الممتحنة آية (١).
(٣) ينظر الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ ص / ١٢٢.
(٤) سنن أبي داود لإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي تحقيق د/ محمد محي الدين عبد الحميد كتاب الأدب باب في قسم العشرة رقم (٤٧٨٨) ٤/٢٥٠ المكتبة العصرية – بيروت.

صادرة ممن علم الدعاة إلى الله كيف تكون الدعوة الحق، فصدق فيه قول الله – ﷻ – ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (١)

وأمثال ذلك كثيرة في البيان النبوي ومنها :

ما روى عن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها – أنها قالت : قال رسول الله –ﷺ – " ما بال أقوام يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله " (٢)

ومنه كذلك ما روى عن أنس بن مالك – رضى الله عنه – أنه قال : قال رسول الله – ﷺ– : " ما بال أقوام يرفعون أبصارهم في صلاتهم " (٣)

وغير ذلك كثير فالنبي – ﷺ – كان لا يواجه أحداً بمكروه بل إن رأى أو سمع ما يكره عمم حتى يأخذ بيد من أخطأ إلى الصواب دون أدنى حرج للموجه المنصوح، كما أن التعميم والإبهام فيه نصح وإرشاد للأمة بأسرها و ذلك أدعى لقبولها و الانقياد لها والإسراع في العمل بها. (٤)

ومما يدخل تحت هذا الباب أيضاً قول الرجل : أحب بنى فلان أو قوم فلان إن كانت محبوبته فيهم، فيعبر بلفظ (القوم) دون اسم محبوبته مجازاً، فيبهم اسمها تأدباً وتلطفاً في الحديث عنها، وذلك أحد مسالك الشعراء في أشعارهم.

---

(١) سورة الأنبياء آية (١٠٧).

(٢) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الوصايا – باب ما جاء في الرجل يتصدق أو يعتق عند الموت رقم (٢٢٢٤) ٤٣٦/٤ مطبعة المصطفى البابي الحلبي وأولاده الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

(٣) سنن أبي داود كتاب الصلاة باب النظر في الصلاة رقم (٩١٣) ١ / ٢٤٠.

(٤) ينظر عون المعبود ٢ / ٢٨٤.

ومنه قول أبي الطيب المتنبي [١] :

لولا ظباء عدى ما شقيت بهم ولا بر بربهم لولا جآذره

حيث رأى الشاعر من حيث الأدب أن ينسب شقاءه إلى قوم محبوبته في قوله : (ولا شقيت بهم) وإن كان مقصوده المحبوبة [٢].

ومنه أيضاً قوله كذلك [٣] :

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا لأهله وشفى أني ولا كربا

فقال الشاعر (لأهله) أي لأهل الربع الذين نزحوا عنه، وأراد محبوبته التي هي واحدة منهم، فأبهم اسمها، وتجوَّز في الحديث عنها تأدباً وتلطفاً.

ومنه كذلك قوله [٤] :

ليالى بعد الظاعنين شكوك طوال وليل العاشقين طويل

حيث قال (الظاعنين) وأراد محبوبته، وفي ذلك إبهام لها وبيان أنها لم تظعن عنه برغبتها، ولكن رحلت مع قومها، فكشف عن عذر الفراق، وأنها تبادله حباً بحب وعشقاً بعشق، ومن شأن ذلك أن يكون الفراق فيه أشد ألما وأكثر حرقة ووجدا.

---

(١) ديوان المتنبي ص / ٤١.

(٢) ينظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المنسوب لأبي العلاء المعرى (معجز أحمد) ١ / ١٤٩ تحقيق د / عبد المجيد دياب مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ٢٠١٢م

(٣) ديوان المتنبي ص / ٩٧.

(٤) ديوان المتنبي ص / ٣٥٥.

المبحث السابع

البيان بالإبهام عن طريق التشبيه الوهمي

الأصل في التشبيه أن يشبه المعقول بالمحسوس ؛ لأن المشبه به شأنه أن يكون أظهر وأوضح والمعنى فيه أتم من المشبه، لأن المشبه به كالأصل المستلحق والمشبه كالفرع الملحق فأولى بالمشبه به أن يكون معلوماً محدداً تحديداً دقيقاً حتى نقيس عليه غيره. (١)

أمَّا أن يأتي المشبه به عقلياً (٢) فهذا على خلاف الأصل في باب التشبيه ؛ لأن من شأن ذلك أن يجعل المشبه به مبهماً غير محدد وخاصَّة إذا كان وهمياً (٣) كما في قول امرئ القيس (٤) :

أيقتلني والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال (٥)

(١) ينظر عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح للشيخ / بهاء الدين أبى حامد أحمد بن على بن عبد الكافي السبكي تحقيق د / خليل إبراهيم خليل ٢ / ١٦٧ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٢) العقلى هو : ما لا يدرك هو ولا مادته بتمامها بإحدى الحواس الظاهرة سواء أدرك بعض مادته أو لا ينظر عروس الأفراح ٢ / ١٣٦.

(٣) ديوان امرئ القيس ضبطه وصححه الأستاذ / مصطفى عبد الشافي ص /١٢٥ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م / ١٤٢٥هـ

(٤) الوهمي هو : ما ليس مدركاً بشيء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو أدرك لم يدرك الإبها ينظر الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزوني تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجي ٤ / ٣٢ دار الجيل – بيروت الطبعة الثالثة.

(٥) الأغوال : الغول أحد الغيلان، وكان العرب يظنونها من مردة الجن والشياطين لسان العرب مادة : غول.

فالشاعر هنا يشبه نصال سهامه بأنياب الأغوال في الفتك والرهبة، و أنياب الأغوال مبهمة غير معلومة الصورة لدى المخاطبين، فالعرب كانت تقول إن الغيلان في الفلوات تتراءى للناس فتضلهم عن الطريق وتهلكهم، وكانوا يظنونها من مردة الجن والشياطين، وبالرغم من ذلك فقد اعتمد عليها الشاعر في بيان هول نصال سهامه.

وكما تروى كتب التراجم أن أبا عبيده كان يوماً في مجلس الفضل بن الربيع فسأله إبراهيم بن إسماعيل أحد كتاب الفضل عن قوله تعالى في شجرة الزقوم: ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ [1]، وكيف يشبه الله سبحانه وتعالى طلع هذه الشجرة برءوس الشياطين على سبيل التخويف والوعيد، والعادة في التخويف والوعيد أن يكون بما هو مألوف ومعروف لديهم، والعرب لم يروا الشياطين حتى تخيفهم بتشبيه طلع شجرة الزقوم برءوسها.

فأجابه أبو عبيدة بأن الله سبحانه وتعالى إنما خاطب العرب على قدر كلامهم فامرؤ القيس يقول في توعد خصمه :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والعرب لم يروا الغول قط، ولكن لما كان أمر الغول يهولهم أو عدوا به، و قد استحسن الفضل هذا الجواب، واستحسنه السائل، ومنذ ذلك الحين عزم أبوعبيدة على وضع كتاب في مثل هذه الأساليب في القرآن الكريم ولما عاد إلى البصرة وضع كتابه (مجاز القرآن). [2]

(١) سورة الصافات آية (٦٥).

(٢) ينظر معجم الأدباء ياقوت الحموى ١٩ / ١٥٨، ١٥٩ دار المأمون – القاهرة والبيان العربى د/ بدوى طبانه ص / ٢٠ مكتبة الإنجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٦٨م

فالذي يتأمل ذلك الخبر يلاحظ عدة أمور وهي :

١- أن الذي دفع إبراهيم بن إسماعيل كاتب الفضل إلى سؤال أبي عبيدة هذا السؤال ما ينطوى عليه تشبيه طلع شجرة الزقوم برءوس الشياطين من إبهام، حيث شبه المجهول بالمجهول، ولذا يقول : والعرب لم يروا الشياطين حتى تخيفهم بتشبيه طلع شجرة الزقوم برءوسها.

٢- أن أبا عبيدة عندما أجاب السائل عن سؤاله لم يجبه ببيان السر الكائن وراء التشبيه وإنما أجابه بأن هذا التشبيه جار على سنن العرب في كلامهم، واستشهد ببيت امرئ القيس.

ولا شك أن ما ذكره الإمام أبو عبيده كلام صائب وقع موقعه، واستحسنه الفضل وكاتبه، لأن الأسلوب ما دام جاء على سنن العرب في كلامهم فلا يجوز لأحد أن يجادل فيه أو يعترض عليه.

ولكن بقيت كلمة وهي ما هو السر البلاغي الكامن وراء التشبيه في الآية، وما هو السر في استحسان العرب للتشبيه بالجن والشياطين والغيلان وكلها غير معلومة ومبهمة لديهم، والدليل على استحسانهم لهذا النوع من التشبيه أنه كثر في كلامهم وأشعارهم ومن ذلك :

قول زهير بن أبى سلمى [١] :

إنس إذا أمنوا جن إذا غضبوا مرزَّءون بها ليل إذا جهدوا

فشبه ممدوحيه بالإنس عند الأمن والسلم وبالجن عند الفزع والحرب.

ومنه أيضاً قول ابن ذي الزوائد [١] :

(١) ديوان زهير بن أبى سلمى ص/٤٤.

بحور خفض لمن ألمَّ بهم جِنٌّ بأرماحهم إذا خطروا

فشبه من يمدحهم بالجن إذا حاربوا وخطروا بأرماحهم.

وقول الآخر [٢] :

وقد تكنفه غُرَّامه زمناً أشباه جن عكوف حول إبليس

فشبه هيئة هذا الرجل وأصحاب الديون التي عليه ملتفون حوله يطلبون ديونهم منه بحال إبليس عندما يجتمع حوله أتباعه من الجن.

ومنه قول الآخر [٣] :

يا أيها الضاغب بالغملول إنك غول ولدتك غول

حيث شبه المختبئ له بالغول الذي يفزع الناس ويهولهم.

وقول الآخر [٤] :

كأنه لما تدانى مقربه وانقطعت أوذمه وكربة

وجاءت الخيل جميعاً تذنبه شيطان جن في هواه ترقبه

---

(١) الحيوان لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون ٦/ ١٨١ مطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده – بمصر الطبعة الثالثة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥م.

(٢) الحيوان ٦ / ١٧٣.

(٣) الحيوان ٦ / ١٧١.

(٤) الحيوان ٦ / ١٧٢.

حيث شبه هيئة فرسه السريع الذي جاءت جميع الخيل خلفه بهيئته وقد تبعه شيطان يركض وراءه ويسرع نحوه وهو يحاول الهرب والإفلات منه.

ومنه أيضاً قول الراجز [١] :

والحرب غول أو كشبه الغول تُزَف بالريات والطبــول

فشبه الحرب بالغول في أن كلاً منها تقرع له الطبول، وترفع له الرايات.

فجاء التشبيه في كل ما سبق بالشياطين والجن والغيلان وكلها غير مرئية ولا معلومة الصورة، وأمثال ذلك كثير في الشعر العربي.

والسر البلاغي وراء هذه التشبيهات يكمن في إبهامها، إذ الإبهام هو عين البيان فيها لأنه يدع للعقل فرصة في أن يرسم الصورة التي تتراءى له في أنها أقبح الصور في تخيله والتي يمكن أن يكون عليها الغول أو الجن أو الشيطان، ولو حددت له الصورة أولاً ما كانت لتدع في النفس التأثير الذي فعلته التشبيهات.

فهذه التشبيهات وإن كانت مبهمة إلا أنها أبانت بما هو مركوز في معتقدات العرب أنه غاية في الفتك والهول والقبح، وتركت لكل مخاطب أن يتصور مداه، وما كان لتشبيه آخر أن يقوم مقامه كالتشبيه بالحية أو الأسد أو غيرهما من الحيوانات المفترسة ليكون التخويف بشيء لا تدرك حقيقته ولا يعرف مدى التعذيب والإيلام به، حتى لا توطن النفوس على احتمال ما هو معروف وإن عظم [٢].

ولذا قال الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب (فإن اعترض معترض على هذا التشبيه فقال : إنما يمثل الغائب بالحاضر وأنياب الأغوال لم يرها فكيف يقع

(١) الحيوان ٦ / ١٩٦.
(٢) ينظر : قضايا النقد الأدبي ص /١٥٢.

التمثيل، قيل له : قد شنع الله صور الجن في قلوب العباد حتى صار ذلك التشنيع أبلغ من المعاينة)[1] فإذا كان الشيء شنيعاً في القلوب، ولم تعرف له صورة محددة، ترك للعقل أن يحدد هذه الصورة الشنعاء كما يبلغ به تصوره فتكون حينئذ أبلغ من المعاينة.

هذا، وقد يأتي التشبيه مبهماً عن طريق التشبيه بالجن والملائكة للدلالة على الغاية في الحسن والجمال ومن ذلك قول الشاعر [2]:

جنية من نساء الإنس أحسن من شمس النهار وبدر الليل لو قرنا

حيث شبه محبوبته بالجنيه للدلالة على غاية جمالها وحسنها، وأنه جمال وحسن لا مثيل ولا نظير له، ولا يمكن وصفه، ومن ثمَّ أبهم بالتشبيه الوهمي ليعظم ويفخم من جمالها وليدع النفس تذهب فيه كل مذهب.

ومنه قول الله – ﷻ– ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [3]

فنفت النساء عن سيدنا يوسف – عليه السلام – البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه، وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم بطريقة الحصر بالنفي والاستثناء، والتشبيه البليغ المؤكد المحذوف الأداة والوجه، وذلك لأن الله – عز وجل – ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك، كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان، ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما، وما ركز فيها إلا لأن الحقيقة

(١) شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحرث الشهير بامرئ القيس بن حجر الكندي للوزير أبو بكر عاصم بن أيوب ص / ٥٥ المطبعة الخيرية المنشاة بجمالية – مصر ١٣٠٧هـ.
(٢) الحيوان ٦ / ١٨٧.
(٣) سورة يوسف آية (٣١).

كذلك كما ركز في الطباع أن لا أدخل في الشر من الشياطين، ولا أجمع للخير من الملائكة. (١)

وهذا الأمر وإن كان مركوزاً في الطباع إلا أنه مبهم، فهو معلوم على وجه الإجمال دون التفصيل، ومركوز في الطبع لا معلوم بالعقل والإدراك، ولا شك أن ذلك هو موطن حسنه وخلابته حتى يدع للنفس مجالاً كى تجول فيه كما تجول وتذهب فيه أيما مذهب.

هذا وإن قيل : (والمشبه به هنا منتزع من الوهم ومن معتقدات العرب من غير نظر إلى ذلك واقع أو غير واقع، فالتصوير يؤدي دوره مادام معتمداً على هذا الاعتقاد الواضح عندهم.) (٢)

فلابد أن يلاحظ أيضاً أن مثل هذا التشبيه كما هو معتمد على الاعتقاد الواضح عند العرب فهو أيضاً معتمد على ما فيه من إبهام هو سر خلابته وحسنه وطرافته ولذا قيل : لكل جديد لذة.(٣)

(١) ينظر الكشاف ٢ / ٤٦٦.

(٢) التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل علم البيان د / محمد محمد أبو موسى ص / ١١١ مكتبة وهبة الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٣) ينظر بحوث في الدلالة والتشبيه د / محمود فرج العقدة ص / ٢٦ دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م

المبحث الثامن

البيان بالإبهام عن طريق اتحاد طرفي

الجملة الاسمية والجملة الشرطية

الأصل أن يكون الخبر متما للفائدة، وأن يكون جواب الشرط مفيداً لمعنى جديد مترتب على جملة الشرط، ولا يحصل ذلك باتحاد طرفي (المبتدأ والخبر)، واتحاد طرفي (الشرط وجواب الشرط) لأن اتحاد الطرفين سيؤدي إلى الإبهام و عدم إتمام الفائدة، ولذا يقول السيوطي : (وشرط الجواب الإفادة فلا يكون بما لا يفيد – كخبر المبتدأ – فلا يجوز : (إن يقم زيد يقم)، كما لا يجوز في الابتداء : (زيد زيد). [1]

لكن المتأمل للأساليب العربية يجد أنه قد يتحد الطرفان فيفيد ذلك نوعاً من المبالغة والتفخيم والتعظيم للمعنى، ومنه قول أبي النجم العجلى [2]:

أنا أبو النجم وشعري شعري

فاخبر الشاعر بنفسه عن نفسه، وبشعره عن شعره، ولم يفد فيه الخبر معنى جديداً، وأدى ذلك إلى الإبهام، لكن المتأمل يجد أن هذا الإبهام مقصود مراد من الشاعر ؛ لأنه يشير به إلى مدى شهرته وذيوع شعره، وأن نفس المبتدأ كافٍ في التعريف به ؛ لأنه لا يحيط به تعريف سوى أن يعرف بنفسه، ولا شك أن في ذلك من التعظيم والتفخيم ما فيه.

---

(١) همع الهوامع شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي تحقيق د / عبد الحميد هنداوي ٥٥٤/٢ المكتبة الوقفية.

(٢) ديوان أبي النجم العجلى الفضل بن قدامه ص /١٩٨ تحقيق وجمع وشرح د / محمد أديب عبد الواحد جمران مطبوعات مجمع اللغة العربية – بدمشق ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

ومنه كذلك قول الشاعر [١] :

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم سيد قام صاحبه

فأشار بقوله (هم هم) إلى مدى عظمهم وفضلهم وشهرتهم فكان الإبهام فيه عين البيان.

ومنه أيضاً قول الآخر [٢] :

هذا رجائي وهذي مصر معرضة وأنت أنت وقد ناديت عن كثب

فقوله (وأنت أنت) أشارت بما فيه من إبهام إلى مدى عظم الممدوح وفضله

ولذا يقول أبو هلال العسكري : (فقوله : (وأنت أنت) مشار به إلى نعوت من المدح كثيرة.) [٣]

ومنه قول ابن المعتز [٤] :

اتعذلني في يوسف وهو من ترى ويوسف أضناني ويوسف يوسف

أي ويوسف الموصوف بالخلال الحميدة والفضائل الغزيرة التي لا أستطيع الإفصاح عنها إلا بأن أذكرها على سبيل الإجمال والإبهام.

ومنه أيضاً قول الآخر [١] :

---

(١) الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ١ / ٤٤ دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة الثامنة ١٤١٧هـ /١٩٩٧م.
(٢) الصناعتين ص / ٣٨٤.
(٣) الصناعتين ص / ٣٨٤.
(٤) العمدة ١ / ٣٣٤.

خليلي خليلي دون ريب وربما ألان امروٌ قولاً فظن خليلاً

فقوله (خليلي خليلي) المراد به بيان عظم صفات خليله، وأنه لا يستطيع أن يحصيها ويعددها، وأنه مشتهر بالفضائل الكريمة والصفات الحميدة فلا يحتاج لأن يعرف بغير هذا القدر من التعريف، ومن ثمَّ فقد كان للإبهام دور بارز في آداء هذا المعنى.

ومنه كذلك قول الله تعالى :

﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ *أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴾ (٢)

فإن الإخبار عن السابقين بأنهم السابقون يدل على وصفهم بشيءٍ لا يكتنه كنهه بحيث لا يفى به التعبير بعبارة غير تلك الصفة إذ هي أقصى ما يسعه التعبير، والمعنى : أن حالهم بلغت منتهى الفضل والرفعة بحيث لا يجد المتكلم خبراً يخبر به عنهم أدل على مرتبتهم من اسم (السابقون). (٣)

ولذا يقول أبو السعود (وفيه إشارة وكناية إلى تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل ما لا يخفى).(٤)

وجئ هنا بالمبالغة والتفخيم عن طريق اتحاد الطرفين لا عن طريق الاستفهام كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ﴾ (٥)

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعي ١ /١٦ تحقيق / محب الدين الخطيب دار المعرفة – بيروت وتحفة الأحوذي ٥ / ٣٤.

(٢) سورة الواقعة الآيتان (١٠، ١١)

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٧/٢٧.

(٤) تفسير أبي السعود ٨ / ١٩٠.

(٥) سورة الواقعة آية (٢٧).

الاستفهام يورد على مدعى العلم فيقال له : إن كنت تعلم فبين الكلام على سبيل التعجيز، أما إذا كان يعترف بالجهل فلا يقال له : كذبت، ولا يقال : كيف كذا ؟، وما الجواب عن ذلك ؟.

فكذلك في (والسابقون السابقون) ما جعلهم بحيث يدعون فيورد عليهم الاستفهام فيبين عجزهم، بل بنى الأمر أنهم معترفون ابتداءً بالعجز، ولا شك أن ذلك أبلغ وآكد في بيان مرتبتهم. (١)

هذا فضلاً عما في حذف متعلق (السابقون) من إفادة العموم أي : أنهم سابقون في كل ميدان تتسابق إليه النفوس الزكية، وجعل هذا الوصف بمنزلة اللقب لهم. (٢)

ومما جاء باتحاد طرفي الجملة الشرطية (الشرط و الجزاء) :

ما روى عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أنه قال : قال رسول الله – ﷺ – : (**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه.**) (٣)

(١) ينظر مفاتيح الغيب ٣٩٠/٢٩

(٢) ينظر التحرير والتنوير ٢٨٧/٢٧.

(٣) سنن أبي داود للإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان ابن الأشعت السجستانى الأزدى تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد كتاب الطلاق باب فيما عنى به الطلاق والنيات – رقم (٢٢٠١) ٢ / ٢٦٢ المكتبة العصرية – بيروت.

فالمراد بقوله – ﷺ – : (فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله.) أي هجرة عظيمة لا يقدر قدرها ولا يعرف كنهها. (١)

وما أفادت هذا المعنى إلا من خلال الإبهام الحاصل عن طريق اتحاد الطرفين المفيد للتعظيم والتفخيم، ولذا قيل : (إذا اتحد لفظ المبتدأ و الخبر والشرط والجزاء علم منها المبالغة إمَّا في التعظيم وإمَّا في التحقير.) (٢)

ومنه أيضاً ما روى عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله – ﷺ – : " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة. " (٣)

فالناظر يجد أن الشرط والجزاء قد اتحدا مرتين، الأولى في قوله – ﷺ – : (إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة)، والثانية في قوله – ﷺ – :(وإن كان من أهل النار فمن أهل النار).

ويشير هذا إلى مدى كرامة المتقين وعظم منزلتهم عند الله، كما يشير الاتحاد في الثاني إلى هوان العصاة وشناعة منزلتهم عند الله، ولذا يقول الإمام الطيبى: (فمن كان من أهل الجنة فيبشر بما لا يكتنه كنهه، ويفوز بما لا يقدر قدره وإن كان من أهل النار بالعكس، لأن هذا المنزل طليعة تباشير السعادة الكبرى،

(١) تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذي للإمام الحافظ / أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ٥ / ٣٤ خرج أحاديثة / عصام الصبابطي دار الحديث الطبعة الأولى ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(٢) تحفة الأحوذى ٥/ ٣٤.

(٣) الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الجنائز باب ما جاء في عذاب القبر رقم (١٠٧٢) – ٣ / ٣٧٥ مطبعة المصطفى البابى الحلبي وأولاده الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

ومقدمة تباريح الشقاوة العظمى، لأن الشرط والجزاء إذا اتحدا دلا على الفخامة.)[1]

ومنه كذلك قول الله – عز وجل – :

﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴾ [2]

فقد وقع الإخبار عن التائب بأنه تائب فاتحد الشرط والجزاء، فأفاد الإبهام والمراد بذلك الإبهام بيان عظم الثواب المترتب على تلك التوبة، والمعنى عليه أن ومن تاب وعمل صالحاً فإن له من الثواب العظيم ما لا يمكن وصفه ولا يقدر قدره. [3]

(١) شرح الطيبى على مشكاة المصابيح المسمى (الكاشف عن حقائق السنن) للإمام / شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبى ١ / ٣٠٨ دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الآولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٢) سورة الفرقان آية (٧١).

(٣) ينظر التحرير والتنوير ٧٧/١٩.

المبحث التاسع

البيان بالإبهام عن طريق التوجيه

التوجيه : هو أن يؤتى بكلام يحتمل معنيين على السواء كهجاء ومديح ليبلغ القائل غرضه بما لا يمسك عليه. (١)

وأسماه ابن أبي الأصبع بالإبهام، وأبان أن علة هذه التسمية هي أن الإتيان بكلام يحتمل معنيين على السواء هو: قصد إبهام الأمر فيهما. (٢)

ومن أمثلة ذلك : أن بشار بن برد أراد أن يخيط قباء (٣) عند خياط، فقال له الخياط ممازحاً سأخيط لك هذا الثوب فلا تدري أهو جبة أم قباء، فقال له بشار : إذاً أنظم فيك شعراً لا يعلم من سمعه أدعوت به لك أم دعوت به عليك، وكان الخياط أعور، فلما فعل الخياط ما وعد به قال فيه بشار :

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

قل لمن يعرف هذا أمديح أم هجاء ؟

فقوله (ليت عينيه سواء) فيه إبهام بطريق التوجيه، لأنه لم يعلم أحد من هذا القول قصد بشار هل يدعو للخياط ؟ فأراد أن العين العوراء تشفى كالعين الصحيحة، أم هل يدعو عليه ؟ فأراد أن العين الصحيحة تصاب كالعوراء. (٤)

---

(١) زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع ص / ١٤٨ والإيضاح ٨١/٦.

(٢) ينظر تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لأبن أبي الإصبع المصرى تقديم وتحقيق د/ حفنى محمد شرف ص / ٥٩٦ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

(٣) قَبَاء : من الثياب سمى بذلك لاجتماع أطرافه، والجمع أقبية لسان العرب مادة : قبا.

(٤) ينظر زهر الربيع ص / ١٤٩ والإيضاح ٦ / ٨١ والتحرير والتحبير ص / ٥٩٧.

ومنه أيضاً ما يحكى أن محمد بن حازم هنأ الحسن بن سهل باتصال بنته (بوران) بالمأمون مع من هنأه من الشعراء، فأثاب الناس كلهم وحرمه، فكتب إليه : إن تماديت في حرماني عملت فيك بيتاً لا يعلم أحد مدحتك فيه أم هجوتك، فأحضره، وقال له : لا أعطيك أو تفعل فقال :

بارك الله للحسن ولبوران في الختن

يا إمام الهدى ظفر ت ولكن ببنت من ؟

نفى قوله (ببنت من ؟) إبهام بطريق التوجيه حيث لم يعلم مراده ومقصوده في العظمة أم في الدناءة، فاحتمل المعنيين المدح والذم، فاستحسن الحسن منه ذلك (١)

وهذا القسم من الكلام يسمى الموجه أي له وجهان، والشاعر يوجهه نحو أي الوجهين أراد، وهذا مما يدل على براعة الشاعر وحسن تأتيه.(٢)

وأكثر ما كان المتنبي يستعمل هذا القسم في قصائده الكافوريات، ومنه قوله(٣):

قضى الله يا كافور أنك أول وليس بقاضٍ أن يرى لك ثانِ

فمالك تختار القسى وإنما عن السعد يرمي دونك الثقلانِ

ولم تحمل السيف الطويل نجاده وأنت غنى عنه بالحد ثانِ

فالشاعر يمدح بهذه الأبيات كافور الإخشيدي، وبالرغم من ذلك فإن هذا الكلام أشبه بالذم منه بالمدح ؛ لأنه يقول : لم تبلغ ما بلغت بسعيك واهتمامك بل بحظ

(١) ينظر التحرير والتحبير ص / ٥٩٦، ٥٩٧ وزهر الربيع ص / ١٤٨.
(٢) ينظر المثل السائر ٤٨/١.
(٣) ديوان المتنبي ص / ٤٧٧.

وسعادة، وهذا لا فضل لك فيه ؛ لأنه إذا كان حظه هو السبب في تقدمه فما قيمته ؟، وما شأنه ؟، وما أهون أمره ! وما أقل خطره! ولأن السعادة قد تنال الخامل والجاهل ومن لا يستحقها.[١]

وما كان ليتأتى للمتنبي هذا المسلك لولا أنه اعتمد على التوجيه وما يحمله من إبهام فأبان عن مراده دون ما يظهر ما يمسك عليه، ويؤاخذ به.

ومنه كذلك قوله في كافور أيضاً [٢] :

وأي قبيل يستحقك قدره ؟ معدٌّ بن عدنان فداك ويعرب

وما طربى لما رأيتك بدعة لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب

فيحتمل هذا معنيين :

أحدهما : المدح، والمراد بيان شدة سعادته برؤيته لأنه أعظم من أن ينسب إلى قبائل عدنان ويعرب وهما من أعظم قبائل العرب.

ثانيهما : الذم، قال الخطيب : ليس هذا مما يمدح به ولا سيما الملوك، لأنه أشبه بنفى النسب عنه، يقول :أي قبيل يستحق أن تنسب إليه وأنت فوق كل أحد وقال ابن جنى : لما قرأت على أبي الطيب هذا البيت قلت له : أجعلت الرجل أبازنة وهي كنية القرد، فضحك لذلك [٣].

---

(١) ينظر المثل السائر ٤٧/١ والصبح المنبي عن حيثية المتنبي تأليف الشيخ / يوسف البديعي تحقيق وتعليق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبدة ص / ١١٩ دار المعارف.

(٢) ديوان المتنبي ص / ٤٧٠.

(٣) ينظر شرح ديوان أبى الطيب المنسوب لأبي العلاء ٤ / ١١٣ والمثل السائر ١ / ٤٨ والصبح المنبى عن حيثية المتنبي ص / ١١٧.

ومنه كذلك قوله فيه أيضاً : [١]

فإن نلت ما أملت منك فر بما شربت بماء يعجز الطير ورده

فهذا الكلام يحتمل معنيين :

أحدهما : المدح، والمعنى عليه : أني بعيد الهمة، شريف المطلب، لا أطلب إلا غاية بعيدة، فلهذا قصدتك، وقاسيت الأخطار دونك، وليس هذا بمنكر مني، فإني ربما وصلت إلى ما لا يقدر الطير على الوصول إليه يعني : وصلت إلى مطلب يعجز عنه غيري، وذلك نظراً لعظمك وعظم قدرك وبعدك عن أن يدنو منك كل أحد. [٢]

ثانيهما : الذم، لأنه يتضمن وصف نواله بالبعد، وأن السائلين ليسوا على يقين من عطائه، ولذا يقول ابن الأثير : (وإذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله فإنه يكون بالذم أولى منه بالمدح ؛ لأنه يتضمن وصف نواله بالبعد والشذوذ، وصدر البيت مفتتح بـ (إن) الشرطية، وقد أجيب بلفظة (رب) التي معناها التقليل أي : لست على نوالك على يقين، فإن نلته فربما وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعده.) [٣]

ومنه أيضاً قول أبي الطيب في كافور كذلك [٤] :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن بات في نعمائه يتقلب

(١) ديوان المتنبي ص ٤٥٦.
(٢) ينظر شرح ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء ٤ / ٦٩.
(٣) المثل السائر ١ / ٤٧.
(٤) ديوان المتنبي ص / ٤٦٩.

فهذا البيت يستخرج منه معنيان ضدان :

الأول : أن المنعم عليه يحسد المنعم.

الثاني : أن المنعم يحسد المنعم عليه.

وهكذا استطاع المتنبي من خلال هذا المسلك البلاغي وهو التوجيه وما ينطوي عليه من إبهام أن يقول كل ما يكن في صدره دون أن يؤاخذ أو يساءل، وتلك براعة من الشاعر ومقدرة بيانية لا يقدر عليها إلا من كان في طبقة أبي الطيب من الشعراء.

المبحث العاشر

البيان بالإبهام عن طريق الكلام المنصف

الكلام المنصف هو : أن لا يترك المجادل لخصمه موجب تغيط واحتداد في الجدل ويسمى في علم المناظرة : إرخاء العنان للمناظر، ومع ذلك فقرينة إلزامهم الحجة قرينة واضحة. (١)

ومن ذلك قول حسان بن ثابت – ﷺ– يرد على من هجا النبي – ﷺ– :(٢)

هجوت محمداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفءٍ ؟! فشركما لخيركما الفداء

فقول حسان : (فشركما لخيركما الفداء) كلام فيه إبهام ؛ لأنه لا ينص ولا يصرح من أراد بالخير ومن أراد بالشر.

ولا شك أن حسان أراد بالشر أبا سفيان، وجملة (فشركما لخيركما الفداء) جملة دعائيه دعا بها على أبي سفيان أن يكون فداءً لرسول الله – ﷺ – ولكنه أبرز ذلك في صورة الإبهام لأجل الإنصاف في الكلام، ولذلك لما سمعه الحاضرون قالوا : هذا أنصف بيت قالته العرب. (٣)

ومنه كذلك قول الله – ﷻ– :

﴿ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾ (٤)

---

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٩٢/٢٢.

(٢) ديوان حسان بن ثابت تحقيق د/ سيد حنفي حسنين ص / ٧٦ الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠٠٨م.

(٣) ينظر إعراب القرآن وبيانه ٧ / ٢٨٧.

(٤) سورة سبأ آية (٢٤).

فلم يصرح بأي الفريقين على الهدى وأيهما على الضلال، فأفاد الإبهام وأتى بالكلام على هذه الطريقة لإبراز المقصد بطريقة خفية توقع الخصم في شرك المغلوبية.(١)

ولذا يقول الزمخشري : (وهذا من الكلام المنصف الذي كل من يسمعه من موال أو مناف قال لمن خوطب به : قد أنصفك صاحبك، وفي درجه بعد تقدمه ما قدم من التقرير البليغ دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين، ولكن التعريض والتورية أفضل بالمجال إلى الغرض، وأهجم به على الغلبة، مع قلة شغب الخصم، وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه : علم الله الصادق منى ومنك، وإن أحدنا لكاذب.)(٢)

يقول الإمام ابن المنير معلقاً على كلام الزمخشري هذا : (وهذا تفسير مهذب، وافتنان مستعذب، رددته على سمعى فزاد رونقاً بالترديد، واستعاده الخاطر كأني بطئ الفهم حين يفيد، ولا ينبغي أن ينكر بعد ذلك على الطريقة التي أكثر تعاطيها متأخروا الفقهاء، وذلك قولهم : أحد الأمرين لازم على الإبهام، فهذا المسلك من هذا الوادي غير بعيد، فتأمله والله الموفق.) (٣)

كما أن من يتأمل الآية يجد أنه قد جئ في جانب أصحاب الهدى بحرف الاستعلاء (على) المستعار للتمكن تمثيلاً لحال المهتدي بحال متصرف في فرسه يركضه حيث شاء ومتمكن من شيء بلغ به مقصده، وجئ في جانب الضالين بحرف الظرفية (في) المستعار لشدة التلبس بالوصف تمثيلاً لحالهم

(١) ينظر التحرير والتنوير ٢٢ / ١٩٢.
(٢) الكشاف ٣ / ٥٨١.
(٣) الانتصاف ٣ / ٥٨٢.

في إحاطة الضلال بهم بحال الشيء في ظرف محيط به لا يتركه يفارقه، ولا يتطلع منه، على خلاف ما هو فيه من ضيق يلازمه. (١)

ومنه أيضاً قول الله – ﷻ – : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ (٢)

ففي الآية إبهام وأورد هذا المورد ليكون الوعيد أحفل بالانتقام، والتهديد أشد أثراً في النفوس، ولذا أورده مورد الإبهام والكلام المنصف وإن كانوا هم المعنيين. (٣)

كما أن هذا الإبهام فيه إشارة إلى أن هذا الأمر مما لا يخفى، وأنه أظهر من أن يصرح به (٤)، ونحوه قول الشاعر (٥) :

فلئن لقيتك خاليين لتعلمن أيى وأيك فارس الأحزاب

فلم يصرح الشاعر بأنه الفارس أو صاحبه، ولكنه تركه مبهماً إنصافاً في الكلام وليكون ذلك إشارة إلى أنه مما لا يخفى، ولا شك أن هذا المسلك فيه من التهديد والوعيد ما فيه.

والمراد بـ (غدا) في الآية ليس يوماً بعينه، وإنما يراد به المستقبل القريب على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، واستعير الغد للمستقبل القريب للدلالة على شدة قربه، وأنه سرعان ما سيأتي، وفي ذلك تهديد ووعيد وإنذار بقرب ما يوعدون به (٦)

(١) ينظر التحرير والتنوير ١٩٣/٢٢.
(٢) سورة القمر آية(٢٦).
(٣) ينظر إعراب القرآن وبيانه ٩ / ٣٨٥.
(٤) ينظر تفسير الألوسى ١٤ / ٨٨.
(٥) في حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه الشواهد للعينى ٢ / ٢٦١ دار الفكر.
(٦) ينظر التحرير والتنوير ٢٧ / ١٩٨.

ومن ذلك أيضاً قول الله تعالى :

﴿ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾ (١)

فأبهم الأمر وأخرج مخرج الكلام المنصف للدلالة على أنه مما لا يخفى وليكون أحفل بالانتقام والتهديد، وأشد أثراً في النفوس.

وهذا الإبهام في مثل هذا الأسلوب يكشف ثقة من المتكلم وفي مقام الجدال ومناظرة الخصم يدخل في القلوب رهبة ورعبا ما كان له أن يتأتى بطريق التصريح والبيان.

(١) سورة الجن آية (٢٤).

الخاتمة

تلك الدراسة كانت هي جهد الباحث ومحاولة جادة منه ليقف من خلالها على الإبهام غير المتبوع بالتفسير، طرقه التي يرد عليها، والأسرار البلاغية لكل طريقة من هذه الطرق، مع التمثيل والتحليل والدراسة لكل منها، ويمكن أن نبرز أهم نتائج البحث فيما يلي :

١- الإبهام غير المتبوع بالتفسير باب كبير من أبواب البلاغة العربية، وحينما يأتي في مقامه الذي يقتضيه يكون واسطة العقد وعين البيان.

٢- تمزيق شواهد هذا الباب على أبواب البلاغة المتعددة جعله غائباً عن أنظار البلاغيين والدارسين، وقلما تجد من يتعرض له.

٣- الإبهام البلاغي (الإبهام غير المتبوع بالتفسير) له طرق متعددة وكثيرة منها الحذف، والتنكير، والاستفهام، والموصولية، والكناية و التعريض..... إلخ الطرق التي ذكرت في البحث.

٤- لكل صورة من صور الإبهام البلاغي مذاقها الخاص وبلاغتها التي تحمل في ثناياها ما لا يحمله التصريح والبيان.

٥- ليس كل إبهام تعمية وإلغازاً على المخاطب، فقد يكون الإبهام مقصوداً مراداً من المتكلم ويقتضيه المقام والسياق.

٦- الإبهام البلاغي هو أحد طاقات تلك اللغة المبدعة، وسر من أسرارها.

وبعد : فإني أسأل الله – عز وجل – أن أكون قد وفقت في عرض وتحليل ودراسة هذا الموضوع، كما أسأله جل شأنه أن يجعل هذا العمل خالصاُ لوجهه الكريم والله من وراء القصد وهو حسبي ونعم الوكيل.

كما اسأله سبحانه الخير كل الخير لآبائنا وأمهاتنا، وإخواننا، وأخواتنا، وأساتذتنا، ومعلمينا، ومشايخنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وجميع من لهم حق علينا إنه سميع قريب مجيب.

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾

وصل اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد - ﷺ -.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم :

١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود لأبي السعود العمادى محمد بن محمد بن مصطفى دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢- الأزهية في علم الحروف لعلى بن محمد النحوى الهروى تحقيق / عبدالمعين الملوحى مطبوعات مجمع اللغة العربية – بدمشق الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٣- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز للإمام / أبي محمد عز الدين بن عبد السلام السلمى الشافعي تحقيق / محمد بن الحسين إسماعيل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

٤- الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ د / محمد الأمين الخضري مطبعة الحسين الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

٥- إعراب القرآن وبيانه لمحى الدين أحمد مصطفى درويش دار ابن كثير – بيروت الطبعة الرابعة ١٤١٥هـ.

٦- الانتصاف للإمام / أحمد بن المنير السكندري مكتب الإعلام الإسلامي دار الكتاب العربي – بيروت ١٤١٦هـ.

٧- الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز " دراسة بلاغية " د/ مختار عطية دار المعرفة الجامعية ١٩٩٧م.

٨- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزوينى شرح وتعليق وتنقيح د/ محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل – بيروت الطبعة الثالثة.

٩- بحوث في الدلالة والتشبيه د / محمود فرج العقدة دار الطباعة المحمدية الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

١٠- البلاغة الاصطلاحية د/ عبده عبد العزيز قلقيلة دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة الثانية ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
١١- البلاغة العالية (علم البيان) الشيخ / عبد المتعال الصعيدي مكتبة الآداب الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
١٢- البلاغة العربية أسسها. وعلومها. وفنونها تأليف / عبد الرحمن حنبكة الميداني دار القلم – دمشق الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
١٣- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د/ محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ / ١٩٩٨م.
١٤- البيان العربي د/ بدوى طبانة مكتبة الإنجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٨٦م.
١٥- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.
١٦- تحرير التحبير لابن أبي الإصبع المصري تحقيق د/ حفنى محمد شرف وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
١٧- التحرير والتنوير تأليف سماحة الأستاذ الشيخ / محمد الطاهر بن عاشور دار سحنون للنشر – تونس.
١٨- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للإمام الحافظ أبي العلا محمد عبدالرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى خرج أحاديثه / عصام الصبابطى دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
١٩- التشويق في الحديث النبوي طرقه وأغراضه د/ بسيوني عبد الفتاح فيود مطبعة الحسين الإسلامية الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٢٠- التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان د/ محمد محمد أبوموسى مكتبة وهبة الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

٢١- تفسير البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف بن على بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسى المحقق / صدقي محمد جميل دار الفكر – بيروت ١٤٢٠هـ.
٢٢- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي مطبعة المصطفى البابي الحلبي وأولاده الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
٢٣- حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي المسمى عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوى لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري الحنفي دار صادر – بيروت.
٢٤- حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني دار الفكر.
٢٥- الحذف البلاغي في القرآن الكريم مصطفى عبد السلام أبو شادي مكتبة القرآن.
٢٦- الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق وشرح / عبد السلام محمد هارون مطبعة المصطفى البابي الحلبي وأولاده – بمصر الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م.
٢٧- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني د/ محمد محمد أبو موسى مكتبة وهبة الطبعة الخامسة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
٢٨- دلائل الإعجازتأليف الشيخ الإمام / أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي قرأه وعلق عليه / أبو فهر محمود محمد شاكر مطبعة المدني – بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
٢٩- ديوان أبي العتاهية دار بيروت للطباعة والنشر – بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٦٨م.

٣٠- ديوان أبي النجم العجلى الفضل بن قدامة تحقيق وجمع وشرح د / محمد أديب عبد الواحد جمران مطبوعات مجمع اللغة العربية – بدمشق ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
٣١- ديوان امرئ القيس ضبطه وصححه الأستاذ / مصطفى عبد الشافي دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الخامسة ٢٠٠٤م / ١٤٢٥هـ.
٣٢- ديوان البحتري عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه / حسن كامل الصيرفي دار المعارف الطبعة الثالثة.
٣٣- ديوان تأبط شراً وأخباره جمع وتحقيق وشرح / على ذو الفقار شاكر دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
٣٤- ديوان حسان بن ثابت تحقيق د / سيد حنفى حسنين الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ٢٠٠٨م.
٣٥- ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي دققه / محمد فوزي حمزة مكتبة الآداب.
٣٦- ديوان السري الرفاء تقديم وشرح / كرم البستاني مراجعة / ناهد جعفر دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٣٧- ديوان طرفة بن العبد شرحه وقدم له / مهدي محمد ناصر الدين دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٣٨- ديوان العرجي جمعه وحققه وشرحه / سجيع جميل الجبيلي دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٣٩- ديوان كثير عزة جمعه وشرحه د / إحسان عباس دار الثقافة – بيروت ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.
٤٠- ديوان عمو بن أبي ربيعة وضع هوامشه وفهارسه د / محمد فايز دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٤١- ديوان لبيد بن ربيعة شرح الطوسى تحقيق د/ حنا نصر الحتى. دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
٤٢- ديوان النابغة الذبياني شرح وتقديم / عباس عبد الستاردار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
٤٣- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للمؤلف / شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي المحقق / على عبد الباري عطية الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٤٤- زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع للحملاوى مطبعة هندية بالموسكي الطبعة الثانية ١٩١٥م.
٤٥- سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي تحقيق د / النبوي عبد الواحد شعلان مؤسسة العلياء.
٤٦- سنن أبي داود للإمام المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانى الأزدى تحقيق / محمد محى الدين عبد الحميد المكتبة العصرية – بيروت.
٤٧- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي المنسوب لأبي العلاء المعري (معجز أحمد) تحقيق د /عبد المجيد دياب مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثانية ٢٠١٢م.
٤٨- شرح ديوان الحماسة لأبي تمام تأليف / أبي على بن محمد بن الحسن المرزوقى علق عليه / فريد الشيخ وضع فهارسه / إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ.
٤٩- شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحرث الشهير بامرئ القيس بن حجر الكندي للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب المطبعة الخيرية المنشأة بجمالية – مصر ١٣٠٧هـ

٥٠- شرح الطيبى على مشكاة المصابيح المسمى الكاشف عن حقائق السنن للإمام شرف الدين الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي تحقيق/ أبو عبد الله محمد على سمك دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٥١- شعر أبي حية النمرى جمعه وحققه د / يحى الحبورى منشروات وزارة الثقافة للإرشاد القومي – دمشق ١٩٧٥م
٥٢- الصبح المنبى عن حيثية المتنبى تأليف الشيخ / يوسف البديعي تحقيق وتعليق / مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة عبده دار المعارف.
٥٣- صحيح البخاري بحاشية السندى لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابى الحلبي.
٥٤- صفوة التفاسير المؤلف / محمد على الصابوني دار الصابونى للطباعة والنشر – القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م
٥٥- الصناعتين الكتابة والشعر لأبى هلال بن عبد الله بن سهل العسكري تحقيق د / مفيد فتيحة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
٥٦- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحى بن حمزة العلوى دار الكتب العلمية – بيروت.
٥٧- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح لبهاء الدين أبي حامد أحمد بن على بن عبد الكافي السبكى تحقيق د / خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ / ٢٠٠١م.
٥٨- عمدة القارى شرح صحيح البخاري للشيخ الإمام العلامة / بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٥٩- العمدة في محاسن الشعر وآدابه تأليف / أبى على الحسن بن رشيق القيروانى تحقيق / محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
٦٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن على بن حجر أبوالفضل العسقلاني الشافعي تحقيق / محب الدين الخطيب دار المعرفة – بيروت.
٦١- فصول في الشعر ونقده د/ شوقي ضيف الطبعة الثالثة دار المعارف.
٦٢- قضايا النقد الأدبي د/ بدوي طبانة معهد البحوث والدراسات العليا بجامعة الدول العربية المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧١م.
٦٣- الكامل في اللغة والأدب لمحمد بن يزيد المبرد تحقيق / محمد أبوالفضل إبراهيم دار الفكر العربي – القاهرة الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
٦٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للإمام / جار الله محمود بن عمر الزمخشري مكتب الإعلام الإسلامي ١٤١٤هـ.
٦٥- لسان العرب لابن منظور دار المعارف
٦٦- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر تأليف / ضياء الدين نصر الله أبى الكرم محمد بن الأثير الجزرى تحقيق الشيخ / كامل محمد محمد عويضة دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
٦٧- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربى تحقيق / عبدالسلام عبد الشافى محمد دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٦٨- المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم للعلاقة / سعد الدين مسعود بن عمر النقنازاتى تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي دار الكتب العلمية – بيوت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

٦٩- معجم الأدباء ياقوت الحموى دار المأمون – القاهرة.

٧٠- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لجمال الدين بن هشام الأنصارى تحقيق د / مازن المبارك ومحمد على حمد الله راجعه / سعيد الأفغانى دار الفكر – بيروت الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٠٢م.

٧١- مفاتيح الغيب = التفسير الكبيرلأبي عبد الله محمد بن الحسن بن الحسين التيمى الرازي الملقب بفخر الدين الرازي دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

٧٢- من بلاغة القرآن د/أحمد أحمد بدوي نهضة مصر – ٢٠٠٥م.

٧٣- مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح لأبي العباس أحمد بن محمد بن محمد بن يعقوب المغربي تحقيق د / خليل إبراهيم خليل دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٣م / ١٤٢٤هـ.

٧٤- النحو الوافى لعباس حسن دار المعارف الطبعة الحادية عشرة.

٧٥- همع الهوامع شرح جمع الجوامع لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي تحقيق د / عبد الحميد هنداوي المكتبة الوقفية.

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
المقدمة	٥٥٥
التمهيد	٥٥٨
تعريف الإبهام في اللغة	٥٥٨
الفرق بين الإبهام البلاغي والإبهام المعيب (التعمية)	٥٥٩
الإبهام البلاغي في كتب البلاغيين	٥٦١
أولاً : أبو هلال العسكري	٥٦١
ثانياً : ابن رشيق القيرواني	٥٦٢
ثالثاً : ابن سنان الخفاجي	٥٦٤
رابعاً : ابن الأثير	٥٦٤
خامساً : العلوى	٥٦٦
المبحث الأول : البيان بالإبهام عن طريق الحذف	٥٦٩
المبحث الثاني : البيان بالإبهام عن طريق التنكير	٥٨٣
المبحث الثالث : البيان بالإبهام عن طريق الموصولية	٥٩٦
المبحث الرابع : البيان بالإبهام عن طريق الاستفهام	٦٠٤
المبحث الخامس : البيان بالإبهام عن طريق الكناية والتعريض	٦١٠
المبحث السادس : البيان بالإبهام عن طريق المجاز	٦١٩
المبحث السابع : البيان بالإبهام عن طريق التشبيه الوهمي	٦٢٤
المبحث الثامن : البيان بالإبهام عن طريق اتحاد طرفي الجملة الاسمية والجملة الشرطية	٦٣١
المبحث التاسع : البيان بالإبهام عن طريق التوجيه	٦٣٧
الموضـــــوع	**الصفحة**

المبحث العاشر : البيان بالإبهام عن طريق الكلام المنصف	٦٤٢
الخاتمة	٦٤٦
فهرس المصادر والمراجع	٦٤٨
فهرس الموضوعات	٦٥٦